

العيد في الإسلام

من أحاديث

السيد محمد علي الباقر

العيد في الإسلام

من أحاديث
السيد محمد علي الباقر

العيد في الإسلام

من أحاديث

السيد محمد علي الباقر حفظه الله

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

للتواصل:

E-mail: maktabah.masjed.b@gmail.com

المحتويات

مقدمة.....	٥
الحديث - ١ - الأعياد عند الشعوب	٧
الحديث - ٢ - العيد في الإسلام يختلف عن غيره	٢١
مناقشة بعد الحديث	٣٠
الحديث - ٣ - العيد يصنعه الإنسان.....	٣٣
الحديث - ٤ - العيد عود إلى الإمامة.....	٤٩
الحديث - ٥ - عيد المؤمن.....	٥٩
الحديث - ٦ - العيد يتحقق بنصرة دين الله	٦٧
الحديث - ٧ - العيد إقرار بالعودة لله	٧٥
الحديث - ٨ - شفاعة الحاج	٨١
الحديث - ٩ - تلبية الحاج	٩١
الحديث - ١٠ - ماذا يعني لبس الجديد في العيد	٩٥
الحديث - ١١ - خطبة أمير المؤمنين في يوم الفطر	٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لاسيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

في هذه الكراس قمنا بجمع مجموعة أحاديث تتناول نظرة الإسلام للعيد، كان قد تحدث بها السيد محمد علي الباقر حفظه الله في أوقات متفرقة في مسجد البلوش - الكويت

مع ملاحظة أنها ليست جميع الأحاديث التي تحدث بها السيد حفظه الله في هذا الموضوع، ولكننا قد وجدنا في هذا القدر ما يشير إلى الصورة الصالحة للتعامل مع العيد، فعمدنا إلى جمعها ونشرها أملاً في أن يجد فيها القارئ ملامح هذه الصورة، هذا وقد حاولنا المحافظة على أصل الحديث قدر الإمكان مع تصرف بسيط يتطلبه تحويل الحديث المسموع إلى مقروء، وننوّه إلى أن العناوين التي سيجدها القارئ هي من ضمن ما تصرفناه، لا من أصل الحديث، والله ولي التوفيق

مكتبة المسجد

١٩ رجب ١٤٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الأعياد عند الشعوب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصل اللهم على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر وحفه بملائكتك وأيده بروح القدس يا رب العالمين، أريد أن أتحدث اليوم^(١) قليلا عن العيد

يتعامل المسلمون مع عيدي الفطر والأضحى بثلاثة طرق:

بعضهم يتعامل مع العيد كشيء من التراث، كشيء تاريخي يُهتم به ويُحتفل به كما يُحتفل بأي شيء آخر من التراث لا معنى له، حتى حينما يذبح أضحية في يوم العيد لا يفكر لِم يذبح الأضحية؟ لأن هذا متعارف أن الناس يذبحون، يلبس ثيابا جديدة، لِم يلبس؟ يزور، لِم يزور؟ لأن هذا هو المتعارف، هكذا جرت العادة، فعلى أي حال هذا تراث، حتى وإن كان يصلي صلاة العيد فإنه يصليها كذلك كقضايا تراثية، مثلما أن هنالك عيد يسمى عيد شم النسيم، يخرج فيه كثير من الناس إلى مكان ما يشمون فيه الورود فإذا سئلوا لِم في هذا اليوم بالذات؟ فالجواب هو لأنه من التراث. وقد قرأت

(١) الجمعة ١٠ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ

مقالا يتناول مسألة العيد من هذا الجانب بما أنه شيء تراثي فيجب الاهتمام بالتراث، كثير من المسلمين هكذا

بعض آخر يتعامل مع العيد كقضايا عبادية شرعية، يصلي صلاة العيد، يضحى، يستعمل الطيب، يتزين، وأشياء أخرى كذلك يعملها كلها كأعمال عبادية رجاء تحصيل الثواب

نقط ثالث لا يكتفي بهذا فقط، بل هو يتدبر في العيد، في محاولة للاستفادة منه بالإضافة إلى العمل الخارجي التقرب إلى الله، لا تقربا عمليا ونفسيا فحسب، بل يريد أن يتقرب إليه تعالى تقربا بمعرفة كذلك، يعني أن يعمق معرفته عن الإسلام عن طريق تدبر العيد

سأتحدث باختصار مع الذين يريدون أن يستفيدوا ويتعلقوا ويتدبروا، لا مع هؤلاء الذين يتعاملون مع العيد كتراث، ولا مع هؤلاء الذين يتعاملون مع العيد كقضايا شرعية تعبدية بحتة وغير مستعدين أن يفكروا، فهؤلاء قد لا يستفيدون من هذا الحديث

ارتباط الإنسان بالأحداث

في تاريخ حياة كل إنسان تحصل أحداث يرتبط بها شيء أم أبى ولا يستطيع أن يتخلى عنها، وهذه الأحداث كذلك تكون مرتبطة به، هو يعود إليها وتلك الأحداث تعود إليه، هذا شيء طبيعي. هذه الأحداث تكون قضايا فردية، فلنفترض أنه عمل عملا جيدا

أو أنتج إنتاجا جيدا فهو دائما يتذكره، أو أنه في يوم معين من السنة حدث له حادث، سواء كان الحادث مفرحا أو محزنا، فهو في هذا الوقت أو في هذه المناسبة بالذات يتذكر ذلك الحادث لا أنه يستذكره، هذا اليوم بالنسبة له يكون يوم عيد، والعيد في اللغة العربية استعماله الأولي يكون على الحزن والفرح

كذلك الأمم - الأمة هي مجموعة من الناس - تكون لها أحداث في حياتها، الأحداث بطبيعة الحال تكون مختلفة ومتفاوتة، هذه الأحداث لها قيمة ولها أثر حسب مقياس هذه المجموعة من الناس، فهي تدخل حياتهم، هم لا ينسونها ويعودون إليها دائما، حتى إذا غفلوا عنها يعودون إليها، وتلك الأحداث كذلك تعود إليهم

في بعض الأحيان، بل في كثير من الأحيان لا يرجع الإنسان إلى هذه الأحداث بطبعه وإنما يستذكرها ويتصنع الرجوع إليها، يتصنع العود إليها، أريد أن أوضح هذه النقطة:

مثلا هنالك عيد لبعض الشعوب والأمم، كعيد المهرجان الذي كان متعارفا في فارس قبل الإسلام، ثم دخل العالم الإسلامي في عهد الخلفاء فبدأوا يهتمون ويحتفلون به. وقبل ذلك عيد النيروز، هذا العيد كان بمناسبة بداية الربيع، قضية كونية، فكانوا يحتفلون بهذه المناسبة احتفالا معينا، ربما لأن هذه الحادثة الكونية كان لها تأثير على حياة تلك الشعوب، حيث كان هؤلاء أقواما زراعا ورعاة

يعيشون في أماكن باردة وفيها ثلوج، والربيع كان يعني بالنسبة لهم ذوبان الثلوج واخضرار وجه الأرض، فهذه الحادثة مهمة للزراعة وكذلك للرعي، إذن الوقت بالذات كان له أهمية كبيرة في حياتهم لذلك كانوا يرحبون به ويحتفلون، ثم بعد ذلك هذه الأهمية انتهت، تغيرات حصلت ودخلت حياة الناس فصاروا يعودون إليه من دون أن يبقى له أي معنى، فأصبح عيداً، عيداً لا أنه هو يرجع إلى الإنسان بشكل طبيعي، بل قضية كانت موجودة والإنسان يسترجعها، يتصنع الرجوع إليها وإحياءها، هذا العيد لا زال موجوداً كما كان في طول التاريخ الإسلامي وكان الخلفاء يهتمون به

مثال آخر هو عيد الثورة الفرنسية والذي يصادف هذه الأيام، أنا لا أريد أن أتحدث عنه بل أريد أن أمهد حتى نصل إلى فهم معنى العيد في الإسلام، قبل مائتي سنة قاموا بثورة وأعلنوا وطبقوا مبادئ حقوق الإنسان حسب مفهومهم، هذه المبادئ الآن أصبحت طاغوتا بحيث حتى الإنسان المسلم لا يستطيع على الأكثر - إلا ما ندر - أن يفكر أنها من الممكن أن تكون مبادئ فاسدة خاطئة كمبدأ حرية الإنسان^(٢) على سبيل المثال، نحن غاية ما نحاول أن نكتب ونتحدث أن الإسلام كذلك يطرح هذه المبادئ من دون أن نفكر أبداً أنها قد تكون مبادئ خاطئة. على أي حال كانت هنالك ثورة وأصبح هذا

(٢) أشار السيد حفظه الله للحرية في (كتاب هكذا آمنت ١) فصل (الحرية)

عيداً، مناسبة معينة أو حادث معين قاموا به فبدأوا يتعاملون معه كعيد، يستذكرون تلك المواقف ويحاولون أن يحيوها

نموذج آخر: مقتل الإمام الحسين (ع)، حيث أصبح عيداً في الشام، كانوا يقيمونه ويعودون إليه سنوياً، وحتى صلاح الدين الأيوبي حينما سيطر على مصر وأزال الفاطميين يقال أنه بدأ يحيي هذا اليوم كأيام بني أمية وقيم في يوم عاشوراء بهذه المناسبة عيداً، أما بالنسبة إلى أهل البيت (ع) وإلى المنتمين إليهم فكان الأمر مختلفاً، فقد كانت مناسبة مأتم وعزاء

والمناسبات التي تحييها الأمم كعيد يهودون إليه إما يتذكرونها بشكل طبيعي أو بشكل متصنع، فحينما بُعث رسول الله (ص) كانت هنالك أعياد بشكل طبيعي، فكل طائفة وكل عشيرة من عشائر المشركين كانت لها مناسبة معينة يعيدون ويفرحون فيها، مثلاً إذا استطاعت عشيرة أن تغلب عشيرة أخرى في اليوم الفلاني فهذه المناسبة كانت تُعتبر بالنسبة لها مناسبة عظيمة تحييها

وحينما هاجر الرسول (ص) إلى المدينة، ينقل أحد الكتاب المعروفين والذي له موسوعة في التاريخ (لا أريد أن أذكر اسمه) أنه كانت هنالك أعياد موجودة، منها أعياد يهودية، ومنها عيد النيروز وعيد المهرجان اللذان انتقلا إليهم عن طريق الفرس، وعيد الفصح وعيد الميلاد اللذان انتقلا إليهم عن طريق النصارى. فمثلاً ولد

السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) في وقت معين فبدأ الناس يحيون هذه المناسبة، يتعاملون معها كمنااسبة مفيدة ونافعة، بالتدريج الآثار تهمل، تصبح قضية تاريخية يتعامل معها كتراث، أنتم تعلمون أن عيد رأس السنة يحونه حتى في البلاد الشيوعية، فالشيوعي لا يؤمن بعيسى بن مريم (ع) ولكن مع ذلك يتعامل معه كتراث، مثل كثير من المسلمين يتعاملون مع عيدي الفطر والأضحى كتراث، يلبسون ملابس جديدة ويتزاورون وربما يقومون ببعض الأعمال الأخرى، حتى من الممكن أن يحضروا صلاة العيد كتراث

العيد بعد بعثة رسول الله (ص)

بُعث رسول الله (ص) وألغى الأعياد كلها وطرح عيدين، هذان العيدان لم يكونا مثل الأعياد الأخرى، فلنفترض البلد الأفريقي الفلاني الذي كان مستعمرة لفرنسا، كان يعتبر عيد انتصار الثورة الفرنسية يوم الرابع عشر من تموز عيداً، هذا البلد حين استقل تخلى عن ذلك العيد واستبدله بعيد آخر وهو عيد يوم الاستقلال. فالمسألة أنه أيّ يوم أنفع لنا، أي يوم نحن استفدنا منه الاستفادة الجيدة يكون هو عيداً، هكذا تحصل التبدلات. إذن كان متوقعاً - حسب هذه النظرة - أن رسول الله (ص) يعلن يوم بعثته عيداً، أو يوم هجرته عيداً، أو يوم انتصاره على المشركين في غزوة بدر عيداً، أو يوم مولده (ص) عيداً، هذه أحداث جسام مهمة كان لها أثر كبير

حسب تلك المقاييس، والناس كانوا سيقبلون ذلك، لكن رسول الله (ص) لم يفعل هكذا. الله تبارك وتعالى غير العيد تغييرا نوعيا لا تغييرا حسب المقاييس المتعارفة، فلم يكن عيد المسلمين في مقابل عيد النصرى، هؤلاء يعيدون بمناسبة ميلاد عيسى بن مريم (ع) ونحن نعيد بمناسبة ميلاد رسول الله (ص)، لم يحصل ذلك

الإسلام يقول أن الأحداث التي تقع في العالم سواء كانت أحداثا كونية أو اجتماعية ينبغي على كل إنسان أن يشعر تجاهها بشعور، وأن يتخذ منها موقفا. مثلا يقع زلزال، هل لك أن لا تهتم به؟ لا، ينبغي أن تظهر شعورك تجاه هذا الزلزال، فماذا تفعل؟ تلعن الطبيعة في صراعها! تجد أنه حتى في الكتب الإسلامية يُذكر الطبيعة في صراعها مع الإنسان، قهر الطبيعة أو غضب الطبيعة. لا، هذه الطبيعة لا إرادة لها، رب الطبيعة فعل هذا، فماذا تصنع، تتأذى؟ تبدي أذاك؟ لا، هذا يلفت نظرك بأن لك ربًّا، بأن للعالم إلهًا، فتسجد له، تخضع له، تذكره، تكبره، وهكذا الأحداث الكونية والآيات الأخرى

وكذلك الأحداث الاجتماعية يجب أن يكون في نفس الإنسان تجاهها شعور وإحساس، ويبدى شعوره وفق المبادئ التي هو يؤمن بها، مثلا هنالك حادثة حدثت، رسول الله (ص) انتصر في غزوة بدر، أنت تفرح بهذا الانتصار، لا بد أن تفرح، في تلك الرواية «لو أن أهل السموات والأرض لم يحبّوا أن يكونوا شهدوا مع رسول الله

(صلى الله عليه وآله) لكانوا من أهل النار»^(٣)، هذا إحساس، شعور، تفرح وتتمنى يا ليتك كنت معهم. وحينما تستذكر يوم عاشوراء سنة ٦١ هجرية تتمنى يا ليتك كنت معهم، هل يا ليتك كنت معهم حتى تُذكر دائما؟ حتى يذكر اسمك في الكتب في طول التاريخ؟ حتى يُكى عليك؟ لم ترغب أن تكون معهم؟ حتى تحشر مع الحسين (ع)، حتى تحشر مع جد الحسين (ص)، هذه حادثة أنت تتفاعل معها لكن هي قضية تاريخية أنت تستذكرها لكن هذا كله تصنع، الإسلام يقول أن هنالك شيء رئيسي، فالعيد هو الذي أنت تعود إليه بشكل طبيعي وليس الذي تتصنع العود إليه، كيف؟

الإنسان هو من يعطي القيمة للأحداث

لا توجد هنالك حادثة في العالم لها قيمة إلا أن تعطيها أنت القيمة، أية حادثة عظيمة تحدث إذا لم تهتم بها لا تصبح لها قيمة أبدا بالنسبة لك، وإذا تهتم بها تصبح لها قيمة، وإذا تهتم بها كثيرا تصبح لها قيمة أكبر. حادثة تقع حسب المقاييس الظاهرية هي حادثة صغيرة، مثلا كثيرون يموتون يوميا، هذه ليست حادثة بارزة، أنت قد تشترك في تشييع جنازة، أو في مجلس فاتحة، وتقرأ القرآن ولكن أنت لا، هذه الحادثة لا قيمة لها بالنسبة لك، شخص آخر يتفاعل معها يتدبرها يتذكر الموت يتبصر فيرجع، فالدنيا تصبح بحجمها الطبيعي،

(٣) وسائل الشيعة (١٤٠/١٦)

الآن هو يشعر بأنه أصبح أكبر من الأول، والأشياء خضعت له، كان ضعيفاً حقيراً والأشياء المادية هي التي كانت تؤثر عليه وتقوده، الآن لا، أصبح ينظر إلى البعيد. هذا الموت بالنسبة لك لا قيمة له أما للشخص الثاني فله قيمة كبيرة جداً

فإذن قيمة الأشياء ما دامت هي مرتبطة بالأشخاص تنبع من تفاعل الأشخاص أنفسهم مع هذه الأشياء، وبمقدار ما استفدت يكون لهذه القضية قيمة عندك، ليست هنالك قيم مطلقة، بل أنت كم استفدت منها. نزول القرآن الكريم، هذا الشيء العظيم الذي نزل في ليلة القدر، القرآن يهدي ويضل، فمن يهتدي به فنزوله بالنسبة له شيء عظيم جداً، ومن يهمله ولا يهتم به فهو يضل بالقرآن، فإذا ضل بالقرآن فهذا الحادث لا يكون ذا أثر في حياته، ولا يكون له أية قيمة على الرغم من أنه عظيم

كذلك العيد، العيد في الإسلام لا يعني عودا إلى حادثة قديمة حدثت وأنت تتصنع العود إليها فتذكرها وتتخذ منها موقفاً، لا، هذه حادثة تحدث فعلاً فترجعك إلى الطريق الذي يجب أن ترجع إليه، والحادثة هي بنفسها تعود إليك، إليك لا كشخص بل إليك كأمة، إليك كمجتمع. مثلاً عيد الفطر يحصل بعد عملية الصيام، صيام الناس كنهر يجري، من هذا النهر قطرات كثيرة تضيع، قطرات كثيرة تتبخر، هنالك قطرات تبقى تجري وهذه هي التي تسقي الأرض

وتُثبتُ الزرع. إذن وسط الصائمين أناس حينما يصومون يحصل العود، عود الإنسان إلى ماذا؟ عود الإنسان إلى الشيء الذي يجب أن يتذكره دائما وهو أنه عبد لله وحده، وليس عبدا لأي شيء آخر، لا أنه في يوم العيد هو يتذكر حادثة معينة، بل هذه الحادثة أوجدت هذا العيد بشكل طبيعي فأعادته إلى الطريق الصحيح وأرجعته إلى المجرى الصحيح. وكذلك عيد الأضحى، فعيد الأضحى هو نتاج لعملية الحج، هنالك بين الحجاج أناس يتخلون عن كل شيء طاع في هذه الدنيا ويكبرون الله، وبتبع عودهم إلى الله وتحررهم وبتبع تكبيرهم لله نحن ننسق معهم بقلوبنا، نتذكر هذا الحادث الفعلي الموجود، فالحجاج يعيشون هذا الحادث ونحن بتبعهم، فيحصل هنالك عيد طبيعي

العيد نتاج عمل المؤمن

فالعيد في الإسلام ليس هو تفاعلا مع حادث حدث بل هو نتاج طبيعي لعمل يقوم به الإنسان الأمة، الإنسان المجتمع، يقوم الله فعلا فينتج العيد، هذا الأثر ينتج مباشرة. وهذه الحادثة تتكرر سنويا لا أنه في كل سنة توجد حادثة مختلفة، ولا أننا نجلس ثلاثة أيام في الحج نتذكر فيها حادثة قديمة فنحييها أو نقوم بالاحتفال بها، وإنما هي حادثة تتكرر كما كانت قد وجدت في عهد رسول الله (ص) بنفس مقاييسها، فهي تتكرر بكل مقوماتها وآثارها سنويا، وهذا هو

المطلوب. فالحاج يبدأ بالتكبير بعد صلاة الظهر من يوم العيد إلى فجر اليوم الثاني عشر، حيث أنه على الأكثر ينفر في هذا اليوم من منى، فإذا بقي فيها إلى اليوم الثالث عشر يكبر كذلك عقب كل صلاة، فيقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا. نحن كذلك يُستحب أن نكرر هذا، فهل هذه مجرد ألفاظ؟ الله أكبر، هل هذا لفظ يقال؟ أم أن هذه عقيدة ورؤية وفهم، صرخة واتخاذ موقف، طريق وهدف ومسير

نجد بلالاً مثلاً، ذلك الإنسان الذي لم تكن له قيمة، الذي كان ذليلاً ويعذب تحت أسواط طواغيت قريش في الجاهلية، كان كل همهم أن يقلد سيده أبا جهل، كيف يأكل، كيف يمضغ الطعام، وحينما يتكلم كيف يحرك رأسه، وأي شيء يعجب أبا جهل فهو يعجب به، وحينما كان سادات قريش يجلسون في نواديهم يتحدثون عن قصور بصرى في الشام وعن حضارتهم وترفهم، وأن في بيوتهم أسرة وأفرشة وشموع، وأن ليالهم مثل النهار، هنالك حضارة متطورة، فهؤلاء كانوا يُعجبون وبلال كذلك كان يُعجب، كل همهم يا ليت هو كذلك يستطيع أن يسافر إلى هذه المنطقة ولو مرة واحدة ثم يموت بعدها بلا أية حسرة، هكذا كان بلال قبل بعثة رسول الله (ص)، وإذا به يتغير، يكبر الله ولا يكبر أي شيء آخر، كل شيء آخر يصبح حقيراً تافهاً

لأنه ارتبط بالله، كبر الله، الله أكبر هذا يعيشه بإحساسه، وقبل ذلك فهمه بعقله وتبناه، فيتذكره وهذا كان يعطيه تلك الصلابة، فحينما كان يُضرب كان يغمى عليه، وحينما يفيق يقول أحد أحد، يعيش أن الله أكبر، فهو عزيز لأنه ارتبط بالله أكبر

كثيرون من الحجاج يتلفظون ليك اللهم لييك، الله أكبر الله أكبر، لكنها مجرد ألفاظ، غير أن فيهم من يتحرر في الحج ويكبر بكبر الله، يتقرب من الله عز وجل، التقرب من الله كيف يكون؟ صفات الله تقترب منها، الله أكبر فتشعر بالكبر، الله أعلى فتشعر بالعلو، هذا العلو ليس تعاليا، ذلك الكبر ليس تكبرا، ليس ذلك الكبر المنفوخ الذي يعطيه المال وهذه الأشياء التافهة التي لا قيمة لها، منبع ومنشأ كبره هو الله عز وجل، هذا هو الكبر الذي (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)^(٤). قيل للإمام الحسن (ع) في تلك الرواية «إن فيك كبرا، فقال: كلا، الكبر لله وحده، ولكن في عزة، قال الله (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)»^(٥)

هؤلاء الحجاج بينهم من صار يكبر الله واقعا بعد أن كان يكبر البيت، يكبر المال، يكبر الثري، يكبر ذلك الإنسان الذي يملك الجاه، يكبر كل شيء آخر غير الله، كان يصلي لكن لا يكبر الله،

(٤) (المنافقون: ٨)

(٥) بحار الأنوار (٣٢٥/٢٤) نقلا عن كنز الدقائق

الآن بدأ يكبر الله، بحقِّ قال لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، فاهتدى. بتبع هؤلاء نحن نكبر، يا ليتنا كنا مع هؤلاء، لا مع الحجيج كلهم، الحجيج لا بكثرتهم، الحجيج بما حصلوا في الحج، نتمنى يا ليتنا كنا معهم فنفوز معهم، نكبر كما كبروا، وهم كبروا كما كان يكبر أولياء الله، وأولياء الله كانوا يكبرون كما كبر الأئمة (ع)، وكما يكبر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكما كان يكبر الإمام الحسين (ع) وكما كان يكبر الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وكما كان يكبر رسول الله (ص) «... والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته...»^(٦)، الله أكبر، هذا هو صراط الله المستقيم

هل نحن هكذا نعيّد؟ هل نحن عائدون؟ هل نحن معيّدون؟ هل هو مجرد طقوس وتراث بلا معنى، حيث يقال أنه يجب أن يكون للإنسان تراث ويجب أن يكون له امتداد في التاريخ؟ أم أنه مجرد عبادة من دون أن يكون لها امتداد؟ أم تتعامل مع العيد من زاوية أن تفكر فيه وتتدبره وتستفيد منه، فإذا لك رؤية جديدة وتشعر في داخلك واقعا بأنك قد كبرت، وإذا العيد الذي كثيرون من الناس يتعاملون معه كموسم انفلات، يصبح بالنسبة لك موسم التحرر

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٥٤/١٤)

وموسم البصيرة، وإذا رؤيتك قد تغيرت، تلك الأشياء التي كنت تكبرها قبل العيد الآن تخلّيت عنها وكبرت الله

فهذه المعادلة أن الله خالقك هو فوق، فوقية الله ليست فوقية مادية جَهْتِيَّة، بل هي فوقية معنوية، الله فوق وأنت خليفته على الأرض وسُخرت الأشياء كلها لك، وملائكة الله التي بها يقوم ما في السموات وما في الأرض يسجدون ويخضعون لك، ينسقون معك، فأنت أعلى شيء في هذا العالم كما خلقك الله. هذه المعادلة الآن تغيرت، وإذا أنت أصبحت تحت وكل شيء آخر أصبح أكبر منك، كل شيء يؤثر عليك، سيارة تؤثر عليك، مال يؤثر عليك، جاه يؤثر عليك، مدح إنسان يؤثر عليك، كل شيء في هذه الدنيا يهزك، يفرحك ويمزقك، يعني أنت سُخِّرْتَ، بل أنت جعلت نفسك مُسَخَّرًا لأي شيء آخر سخره الله لك. فالعيد يجب أن يكون موسم هدم لهذا التغيير في المعادلة، فنرجع إلى وضعنا الطبيعي، الله أكبر فقط وكل شيء آخر غير مرتبط بالله عز وجل فهو حقير، صغير وتافه

كنت أريد أن أتحدث عن طريقة الاحتفال بالأعياد وأن هناك فرق بين طريقة الاحتفال بالأعياد في الإسلام وطريقة الاحتفال بالأعياد في الأمم الأخرى، فلم أجد مجالا. نسأل الله أن يجعل هذا العيد عيد هداية وصلاح وعيد تكبير الله وعيد لا إله إلا الله، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد في الإسلام يختلف عن غيره

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، بمناسبة عيد الفطر المبارك^(٧) طُلب مني أن أتحدث عن الأعياد. أحاول أن أتحدث عن هذا الموضوع الذي نحن نعيشه كثيرا ولكن نفقد معناه

للحديث عن الأعياد جانبان: جانب تربوي وجانب علمي. أحاول أن أتحدث عن الجانب الثاني، ثم إذا رأيت مجالا أتطرق بشكل مقتضب جدا إلى الجانب الأول الجانب التربوي أو الفوائد التربوية التي يعطيها العيد

كل أمة وكل قوم لهم عيد - إن لم تكن لهم أعياد - وعلى الأكثر تلك الأعياد إنما عُينت وجُعِلت بمناسبة حدوث أحداث مهمة في تاريخ تلك الأمة، إلى أن نصل إلى الشكل العمومي تقريبا لتلك الأحداث، كحادثة استقلال كل بلدة فكل بلدة من بلاد العالم لها عيد وطني وهو عيد الاستقلال، والاستقلال كذلك يختلف باختلاف المفاهيم المتبناة في تلك البلاد والعقائد والأصول الفكرية التي تعتقدها ولكن الإسلام لم يتخذ من الحوادث أعيادا رسمية، فكما تعلمون أن في الإسلام عيدين، عيد الفطر المبارك أول شهر شوال، وعيد

(٧) الحديث بمناسبة قرب عيد الفطر ١٤٠٩ هـ

الأضحى المبارك العاشر من شهر ذي الحجة الحرام، وهنالك عيد ثالث وهو يوم الجمعة، وعيد آخر سُمي واعتُبر عيداً ينبغي أن يُحتفل به وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة وذلك هو يوم الغدير، لكن هذا الأخير لم يجعله الإسلام عيداً رسمياً له آدابه وخصوصياته كعيدي الفطر والأضحى

على الرغم من وجود حوادث عظيمة في حياة رسول الله (ص) نجد أن الإسلام لم يركز على حادثة معينة ليُجعل منها عيداً وطنياً أو عيداً لهذه الأمة - لا وطن في الإسلام كما تعلمون وإنما هو تعبير أردت أن أماشي به الناس - بل جعل العيد الرسمي عقيب أمرين يتكرران في كل سنة. فهو حي ب حياة موضوعه، على عكس من الأعياد الأخرى التي ماتت موضوعاتها، ولو أن هنالك محاولات تُبذل بشكل وآخر لإحياء تلك الموضوعات التي غُبرت ومضت في بطون التاريخ. في الإسلام هنالك عملية حية تُقام ثم يتلوها العيد مباشرة، فالعيد مرتبط ارتباطاً واضحاً بهذا الشيء الحي الملموس الذي يعيشه ذلك الإنسان الذي يحاول أن يحتفل بذلك العيد. فعملية الصيام، هذا الشهر المبارك بعده عيد، وعملية الحج - ذلك اليوم المشهود - كذلك بعده عيد، فهذه إشارة إلى أن الإسلام يختلف تمام الاختلاف عن المبادئ والفلسفات الأخرى حتى في تعيين وتحديد صيغة العيد ومتعلقه. فما هو العيد؟

مفهوم العيد

قلت إنني أحاول أن أتحدث أولاً عن الجانب العلمي لمفهوم العيد. نجد في اللغة حشداً من الكلمات حول معنى العيد، ولكن أكثرها لا يعني شيئاً في الواقع، فمثلاً العيد هو الزينة، العيد هو الاجتماع، العيد هو الاحتفاء بمحاضرة أو يوم تاريخي وهكذا، كل تلك الأشياء التي تذكر في الكتب اللغوية إنما هي مصاديق للمعنى الصحيح للعيد، أما العيد في الواقع هو عبارة عن العود والرجوع، الرجوع إلى ماذا؟ الرجوع إلى الطريق الذي جعل العيد ضمنه بل حلقة بارزة فيه، الرجوع إلى الطريق الذي رسمه الله رب الإنسان للإنسان. فإذا رجع الإنسان إلى هذا الطريق، إلى صراط الله المستقيم، إلى السبيل الذي رسمه الله ربه له، هذا يُعتبر عيداً. ينقل الشريف الرضي في نهج البلاغة نصاً مروياً عن أمير المؤمنين (ع) يذكر فيه هذا المعنى في عيد من أعياد الفطر المباركة، « إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد »^(٨)، فلكل إنسان رجع إلى ربه بناء على هذا التعبير عيد خاص له - وهو تعبير أصيل تؤيده النصوص والمفاهيم المتبناة إسلامياً حتى إذا لم يثبت هذا النص - فأي وقت استطاع الإنسان أن يقطع صلواته بالشيطان وبالذنوب وبهوى نفسه ورجع إلى ربه، تلك اللحظة تعتبر له لحظة عيد، وذلك اليوم يعتبر له

(٨) نهج البلاغة (الحكمة: ٤٢٨)

يوم عيد لأنه قد عاد إلى ربه، فهي لحظة عود إلى الله تبارك وتعالى، وهو يوم عود إلى الله

كيف يكون الفطر والأضحى عيدين؟

إذن تقول كيف جعل هذان اليومان يوم الفطر ويوم الأضحى عيدين ما دام بالإمكان أن يكون لكل إنسان عيد؟ هنالك جوابان لهذا السؤال:

الأول: أن عملية الصيام وعملية الحج بواجباتهما وآدابهما تستطيعان أن تُرجعا كثيرا من المسلمين إلى الله تبارك وتعالى، أو بتعبير أدق هكذا نقول: أنه ينبغي للإنسان أن يستفيد من هذه الأرضية التي أوجدها الله وهياها رب العالمين له، فيعود إلى الله تبارك وتعالى، وعلى هذا الأساس نجد روايات كثيرة جدا تدل على أن عملية الصيام وعملية الحج كلاهما تتساويان أو تتشابهان في التسبب بمغفرة ذنوب الإنسان الصائم والحاج

الثاني: وهو الذي أريد أن أتحدث عنه، أن الصوم كمثال لا يستطيع أن يجعل كل إنسان صائم يرجع إلى ربه ويعود إليه، فلا يعتبر أول شهر شوال عيداً له لأنه لم يعد عن طريق الصيام إلى ربه فكان حظه من صيامه الجوع والعطش. ولكن هنالك عوداً قطعياً حتمياً بمعنى آخر سيتحقق بعد صيام شهر رمضان وبعد عملية

الحج، وذلك العود هو عود الأمة. فقد لا يتحقق عيد وعود ورجوع لكل أفراد المسلمين في شهر رمضان وفي أيام الحج، ولكن عود الأمة ورجوع الأمة وعيد الأمة تحقّقه حتمي لا مندوحة عنه في هذين اليومين

الصالحون هم محور الأمة

الإسلام كما تعلمون لم يمت في أي وقت من الأوقات، كانت دائما هنالك هزات أثرت على المسلمين فسببت ارتدادا لكثير منهم. كثير من الناس رأوا هذا المظهر الارتدادي فتصوروا بل تيقنوا أن عهد الإسلام قد انتهى وأن دور الدين قد انقضى، ولكننا نرى ورأى غيرنا أن الإسلام على رغم هذه الأحكام الكثيرة من كثير من الناس لم يمت في أي وقت من الأوقات، وإنما الأمة بقيت حية دائما رغم موت أو فناء أو ارتداد أفراد كثيرين، فهنالك فرق بين الأفراد المسلمين وبين الأمة المسلمة، بطبيعة الحال الأمة هي تتشكل من أفراد، ولكن لا كل الأفراد، إذن هنالك محور لحياة الأمة ولاستمراريتها، وهذا المحور هو الذي يعتبر دعامة لهذا الدين، هؤلاء الأفراد هم الذين يشكلون تلك الأمة التي يعبر عنها القرآن الكريم بتعابير مختلفة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)^(٩)، (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)^(١٠)،

(٩) (البقرة: ١٤٣)

(١٠) (الأعراف: ١٨١)

(وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (١١)

فالأمة يجب أن تكون حية حسب تخطيط الله تبارك وتعالى، هذه الأمة لا يمكن أن تموت أبداً، وإنما الهزات تقع والارتدادات تحدث في الجوانب الهامشية التي تشكل مظهرها لتلك الأمة. هنالك دائماً أناس يشكلون الطريق في هذه الأمة، وهؤلاء دائماً كانوا موجودين. الصوم يستطيع أن يساهم في أن تبقى تلك الجماعة حية، فهي يجب أن تكون شعلة وهاجة، ويجب أن تكون هادية، ويجب أن تكون حجج الله في الأرض لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل وبعدهم، فلولا هم لساخت الأرض بأهلها (١٢)

عملية الصيام تستطيع أن تخلق من الصائمين أناساً بهذا المستوى، فتعمق فيهم الإحساس الديني وترسخ فيهم الإيمان، وأولئك قد تكون نسبتهم نسبة ضئيلة بالمقارنة مع الكثرة الكثيرة من الصائمين ولكنهم هم نور الله في الأرض، وكذلك عملية الحج تستطيع أن تفعل هذا الأمر. فما دام هنالك صوم، وما دام هنالك حج فهذا الدين سيستمر بإذن الله، ولو لم يكن هنالك صوم ولو لم يكن هنالك حج قد عيّنه الله وكتبه على هذه الأمة لم يُخلق هنالك أفراد يتحملون مسئولية

(١١) (محمد: ٣٨)

(١٢) نهج البلاغة (الحكمة ١٤٧): «... اللهم بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبياناته...»

هداية الناس وأن يكونوا أئمة للمتقين كما في دعاء إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)^(١٣)، هؤلاء هم الذين يشكلون المحور لا الأمة في هامشها وفي حاشيتها وفي أطرافها المهتزة المرتبكة دائما، هؤلاء هم الذين يشكلون سببا وعلة بأمر من الله، واستمرارا وتطورا وتحركا في الخط الإسلامي

فإذا رأيتم هنالك عودا ورجوعا عاما كمظهر خارجي ملموس إلى دين الله تبارك وتعالى، فإن ذلك الرجوع الملموس المشهود العام سببه عمل هؤلاء الذين قاموا بما كان يجب عليهم، والذين ربّاهم الصوم والحج، والذين خلقتهم عملية الصيام وعملية الحج، خلقتهم أناسا متدينين من ناحية الكم والكيف معا، هؤلاء هم أسباب وعوامل ودعائم لكل المظاهر العودية إلى الله تبارك وتعالى

بطبيعة الحال نحن نؤمن أن هذا العيد الاجتماعي العام وهذا العود العام سيكون إن عاجلا أو آجلا، وهنالك الإنسان والإنسانية بشكل عام سترجع إلى الله تبارك وتعالى وإلى الإسلام

فإذا استطعنا أن نستفيد من عملية الصيام، واستطعنا أن نستفيد من عملية الحج، وعمقنا في أنفسنا الإيمان والبصيرة، وتفاعلنا مع الصوم والحج التفاعل الصحيح، وكنا أناسا صالحين، ووسعنا دائرة

(١٣) (الفرقان: ٧٤)

هؤلاء الأفراد الذين يشكلون الأمة الأساسية التي يقول فيها الله تبارك وتعالى (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)^(١٤)، إذا استطعنا ذلك كان النصر أي كان العود، العود العام إلى سبيل الله وطريق رب العالمين عاجلاً ومستعجلاً

وإذا نحن تساهلنا ولم نقم بذلك، ولم نستفد من هذه الأعياد التي رسمها الله تبارك وتعالى وحددها لربطنا به أكثر وأكثر، فإن الله لا يتخلى عن دينه وسوف يستبدل بنا قوماً غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا، وبالإمكان أن يكونوا قليلين ولا يستطيعون أن يخلقوا مظهراً عاماً لعود البشرية بشكل مستعجل ولكن سوف يسيبون ويشكلون دعامة لعود العالم أجمع إلى دين رب العالمين ولو بعد حين

هذا الذي نقوله لا نحن فقط ندّعيه، بل يعترف به أناس آخرون لا يريدون الاعتراف به، أقرأ عليكم نصاً وجدته اليوم في جريدة كويتية تنقله عن جريدة غربية، لا أريد أن أنقله لكم لأستشهد به أو لأثبت مدّعاي أن دين الله سيعم العالم، وإنما أريد أن أقول أن هنالك اعترافات ممن لا يريد أن يعترف بهذا الأمر. في هذه النشرة (هيرالد تريبيون) التي تنقل عنها جريدة القبس، تتحدث عن الحوادث العودية التي صارت في هذه الأيام في إحدى الدول الإسلامية، ثم تقول في آخرها: (من هنا نستطيع القول أن الفكرة التي يؤمن بها

(١٤) (الأعراف: ١٨١)

البعض بأن عالم اليوم قد تخلّى الآن عن الممارسات الدينية المتوارثة نظراً لأسباب علمية، ما زالت فكرة غير ناضجة حتى الآن)، أي أن هذا الشخص يقول أن هنالك نظرية بأن العالم قد تخلّى تماماً عن الدين المتوارث، ولكن تبين بعد هذا المظهر الأخير أن هذه النظرية نظرية غير ناضجة، وأن الدين لا يزال حياً، وأنه لا يزال له مفعول كبير جداً يستطيع أن يحرك جماعات لا يستطيع أن يحركها غير الدين، هذا اعتراف منه

إذن سيكون هنالك عيد عام، ولكن هذه الأعياد التي نحن نعيشها إنما هي أعياد للأمة، فالأمة تعود بعد هاتين العمليتين، عملية الصوم وعملية الحج، بعد أن افتقدت بعض أفرادها وبعض دعائمها وبعد أن ذاب بعض أفرادها، ترجع وتستنقذ بعض الأفراد الآخرين فتجذبهم وتطورهم إلى المستوى الذي يجب أن يستمر على أساسه الدين، وهكذا يكون هذان العيدان عيدين للأمة ولو لم يكونا عيدين لكل فرد من أفراد المسلمين، فكما ترون أن كثيراً من الصائمين لا يمكن أن يكون هذا اليوم يوم عيد لهم ولكنه في الواقع يوم عيد للأمة، هذه الأعياد ستمهد بالتدريج للعيد الأخير وللعود الأخير إلى طريق الله تبارك وتعالى

هذا الشيء الذي أردت أن أتحدث عنه، وأظنه كان مقتضياً جداً، والحمد لله رب العالمين

مناقشة بعد الحديث:

سؤال: بالنسبة للعودة، هل عودة المسلمين إلى الدين يكون وقت الظهور؟ من علامات الظهور؟

جواب: العود سيكون، نحن لا نؤمن بالقفزة مطلقا، إذ لا توجد هنالك قفزة في سنة الله تبارك وتعالى، وستكون هنالك أعياد، الإنسان الذي يستطيع أن يدرس الأحداث الآن ويتعمق فيها يجد سيرى بأن الأعياد بهذا المعنى الذي ذكرت، معانيها أوضح وأجلى مصداقا من السنين الماضية، وهكذا تستمر

سؤال: تحدثتم أن العيد يسهم في عود مجموعة كبيرة إلى الأمة الإسلامية، فيمكن أن صلوات الجماعة التي تقام في المساجد أو الحسينيات أيضا لها أرضية أو طبيعة أن تهيب كثيرين من الأفراد لينضموا إلى الأمة

جواب: من ناحية الكم هنالك عوامل مساعدة، صحيح كما تفضلت بالإمكان أن تكون هنالك أشياء أخرى كذلك هي تنتج نفس النتيجة أو أقل منها بعض الشيء، ولكن الشيء الذي كنت أركز عليه هو الناحية الكيفية، فالجانب الكيفي هو المهم في جعل الإنسان عضوا في هذه الأمة التي هي دعامة الخط الإسلامي العام، ولا توجد هنالك عملية أخرى تستطيع أن تعمق في الإنسان وتعطيه كيفية كما تعطيه هاتان العمليتان

أشكركم على حسن استماعكم وعلى صبركم وانتظاركم، وإن شاء الله يبارك الله لكم في هذا العيد الذي سيأتينا بعد يومين، وندعو الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من العائدين بالمعنى الذي ذكرت، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد يصنعه الإنسان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين، أتحدث اليوم^(١٥) عن العيد كمفهوم، كفكرة وعقيدة

العيد له جانبان كأى عمل مشرّع في الإسلام، الجانب الأول هو الجانب العقائدي الفكري، والجانب الثاني هو الجانب العملي. الجانب العملي نجده في الكتب المتخصصة، في الرسالة العملية مثلاً نجد أحكام الصلاة والصيام والزكاة والخمس والحج وغيرها. كيف يعمل المكلف، توجد أحكام شرعية مذكورة في الرسائل العملية، لكن ما هو موقع الصلاة مثلاً من الشجرة العقائدية التي أنا أعتقدها؟ كيف أتعامل مع الصلاة بنفسى لا بجوارحي؟ كيف أفهم الصلاة بفكرى؟ كيف أتفاعل مع الصلاة بقلبى؟ هذه قضايا فكرية وقضايا مفهومية وعقائدية يفهمها الإنسان ويتبناها ويؤمن بها. كذلك العيد له أحكام شرعية عملية مذكورة في الرسالة العملية وله جانب معرفى عقائدى، أريد أن أتحدث عن هذا بمقدار

العيد من العود، يقولون أن العيد هو يوم يعود على الناس، أو الناس يعودون عليه بالفرح والسرور، فهذا يوم عيد. في الإسلام يوجد

(١٥) الجمعة ٢٨ رمضان ١٤١٤هـ

عيدان، أنا متحدث عن هذا الأمر في وقت سابق بتفصيل، باختصار أشير إلى بعض جوانب ذلك الحديث كمقدمة لحديثي ثم أمضي العيد في الإسلام - على خلاف الأمم والمجتمعات الأخرى - يصنعه الإنسان، فهو ليس شيئاً يعكس حادثة تاريخية بل هو مرتبط بالإنسان وفق التشريع الشامل للإسلام الذي يركز على الإنسان، فالعيد هو ما ينطلق من الإنسان ويصنعه سنوياً، سواء بحجه أو بصيامه، فالعيد يُصنع لا أنه يكون موجوداً والإنسان فقط يتفاعل أو يتعامل معه، لا أريد أن أشرح هذا الأمر أكثر من هذا

في اليوم الأول من شهر شوال يكون العيد، بالنسبة لنا هذا العيد ماذا يعني؟ نزكي، نصلي صلاة العيد، نعمل أعمالاً معينة، لكن ماذا يعني العيد في الجانب المعرفي؟ ماذا يعني العود؟ أكثر الناس لا يعقلون، وكذلك أكثر المؤمنين لا يفكرون، وقليل من عبادي الشكور. نحن نحاول أن نتدبر الأمر ونفكر في هذا اليوم الذي جعله الله عيداً وسماه عيداً، فهو المفروض أن يكون عوداً، العود إلى ماذا؟

لكل إنسان عود

في حياة الإنسان، أي إنسان نفترضه، يوجد طريق هو يعتقد أنه ويتبناه، يسير على هذا الطريق، فهل هو يسير دائماً عليه؟ لا، يخرج عليه بعض الأحيان، فحينما يخرج يرجع إليه، هذا في الإسلام نسميه

التوبة، إذا كان الإنسان عبداً لله وهذا طريقه، فإن ارتكب معصية خرج على طريق العبودية لله تبارك وتعالى، وإن رجع فقد تاب، عاد إلى دينه ومبادئه، عاد إلى ما يعتقد.

كل إنسان له دين يتعامل وينظم حياته على أساس من ذلك الدين، يدرس، يعمل، يلبس، يأكل، يتزوج، يربي أولاده، يحدد لهم دراسات معينة، يختار ملابسهم للعيد، أي شيء هو يفعله في حياته على أساس من دينه، يعتقد بشيء ويؤمن به ويفعله. هذا الدين الذي هو يعتقد إن كان نابعاً عن شهوته وهواه فهو يعبد هواه ويطيعه، في هذه الصورة الشخص الذي يعبد هواه هل يترك الصلاة والصيام وزكاة الفطرة وأمثال ذلك؟ يتركها كلها مرة واحدة؟ لا، هذه الأشياء يفعلها كأشياء استثنائية، بشرط أن لا تضر بذلك الطريق الذي هو يسير عليه، «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم»^(١٦)، صلاة، صيام، زكاة بمقدار، حج، وعلى هذا الأساس حتى الأعمال العبادية يصيغها صياغة تتناسب مع مبادئه التي هو أخذها من اتباع هواه، فيصلّي في مكان يُملّيه عليه هواه، يحج بالطريقة التي يملّيها عليه هواه، يزكي بالطريقة التي يملّيها عليه هواه، يصوم بالطريقة التي لا تصطدم مع هواه، يصيغ الصيام صياغة معينة، فلياليه ليال معينة وأكلاته أكلات متناسبة مع دينه وأمثال ذلك، قد يتذكر

(١٦) تحف العقول (٢٤٥)

أمير المؤمنين (ع) في مسجد ضمن وضع معين في ليلة من الليالي فيبكي، ثم يرجع إلى دينه، هذا عاد، تاب توبة معكوسة مضادة، هي لا تسمى توبة لكن أنا أعبر عنها بهذا، عود إلى طريقه الأصلي، إلى دينه الأصلي، بعض الأحيان هو يكون واضحا ويصرح أن بكاءه وحزنه كان خطأ، وأن الفرح أفضل، تارة لا، يكون غافلا

العود لا يُتصنع، العيد لا يُتصنع، وإنما هو ينتج بشكل مطلق، ففي حياة الإنسان دائما يوجد عيد، وعلى هذا تفسر تلك الكلمة التي تروى عن أمير المؤمنين (ع) «... وكل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد»^(١٧)، الإنسان المسلم يرتكب المعصية وحينما يرجع ويتوب، يطيع الله فهذا عيد بالنسبة له، إن بقي يوما على هذا الطريق فهو يوم عيد، عاد إلى دينه

بهذا المعنى العيد دائما موجود في حياة كل إنسان أيا كان دينه، حتى لو كان كافرا سافرا أو متسترا، تلك الآية الكريمة (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)^(١٨) هذا هو الشرك المتستر، إذا يقال له أنت مشرك يقول: أعوذ بالله! لكن هو في الحقيقة أشرك بالله أشياء أخرى، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره. الإنسان الكافر يعمل عملا صالحا فيصيغه بصياغة ليتناسب مع

(١٧) نهج البلاغة (الحكمة ٤٢٨)

(١٨) (يوسف: ١٠٦)

كفره، فإن لم يتناسب يرجع، هذا يعتبر في حياته استثناء، الاستثناء قد يدوم لكن في قرارة نفسه هو يعتبره استثناء، يشعر بالتأذي من هذا الأمر دائما فيرجع إلى طريقته ويتوب

المؤمن كذلك يتوب، نحن نعرف بمقدار كبير التوبة من المعاصي العملية، كالتوبة من الغيبة، التوبة من الزنا، التوبة من السرقة، التوبة من إيذاء المؤمن، توبة المرأة من كشف بدنّها، من السفور وأمثال ذلك، هذه التوبة في نطاقها العملي. أما التوبة بمعنى العود إلى الدين فهل ممكن من الناحية العملية أن يبقى الإنسان خارج طريقه، لكن في نفس الوقت يكون عائدا؟ الجواب نعم، إذا كان متأذيا من هذا العمل ويعتبره خروجاً على دين الله تبارك وتعالى، فهذه توبة وهذا عود. هذا العود دائما موجود، هذا الذي أقوله هو مسألة عقلية أرى بأنها واضحة بحيث أن أي إنسان إذا يتدبرها يتفهمها ويتقبلها، إذا قيل ما دليلك على هذا؟ لا أستطيع أن أثبت له، كما لو سُئلت ما دليلك على أن الشمس الآن طالعة؟ أقول له انظر للشمس، إذا يقول أنا لا أريد أن أنظر أنت أثبت لي، هل أستطيع أن أثبت له؟ لا أستطيع

عود المؤمن نتاج معرفته وسعيه

هذا العود يجسد شيئين، أولا بالنسبة للإنسان المؤمن هو يعرف دينه، يعرف إلى ماذا يعود، هل من الممكن أن يكون الإنسان مؤمنا

غير عارف ويعود إلى شيء هو يتصوره ديناً في حين أنه يكون خروجاً على الدين؟ نعم، إذن الشيء الأول المعرفة بمعالم الدين، أن الإنسان يعرف أن هذا دين. والشيء الثاني السعي الشخصي، السعي النفسي، هذا يحتاج إلى جهاد ومعاناة شديدة، هذا السعي قد ينجح عملياً وقد لا ينجح لأن هنالك ثلاثة أشياء رئيسية مضادة تؤثر، أولاً الضعف الناتج عن الوراثة، ثانياً الضعف الناتج عن التربية، ثالثاً الضغط الاجتماعي الهائل الذي يجعل الإنسان من الضروري في بعض الأحيان أن ينسق معه

الأئمة (ع) كانوا هكذا، لم يكن فيهم ضعف وراثي ولا تربوي، لكن كان هنالك ضغط اجتماعي، فالحسن (ع) في تلك الرواية يضطر أن يقترض مالا ويبيعه إلى متصدق له ليتصدق به^(١٩)، لأن الناس شكلوا عليه ضغطاً جهنمياً بأن الحسن ليس له مال ومن ليس له مال فهو مهان، هذا الضغط كان حتى في ملابسهم وطريقة أكلهم وحياتهم^(٢٠)، وعلى هذا الأساس حينما كانوا يفتشون داخل بيوت الأئمة (ع) يجدون أن هذه البيوت تحسد رغباتهم الحقيقية فقط

(١٩) الكافي (٤٤٠/٦): «عن أبي عبد الله (ع) قال: إن أناساً بالمدينة قالوا: ليس للحسن (ع) مال فبعث الحسن (ع) إلى رجل بالمدينة فاستقرض منه ألف درهم وأرسل بها إلى المصدق، وقال: هذه صدقة مالنا فقالوا: ما بعث الحسن (ع) بهذه من تلقاء نفسه إلا وله مال»

(٢٠) بين السيد حفظه الله كيف أصبح الحج بعد وفاة النبي (ص) في كتاب (الحج في مراحل الأربع) تحت عنوان (المرحلة الرابعة)

أرجع فأقول: العود لا يُنصنع، وإنما العود ينتج من دين الإنسان، أنا بأي دين أتدين قطعاً أعود إليه. هل أخرج عليه؟ قطعاً أخرج، لأن الإنسان ليس جهادا وكذلك ليس حيوانا تحكمه الغريزة فقط، وإنما يعيش الوسواس ويعيش الهزات، فحركة الإنسان دائما حركة مذبذبة ليست مستقيمة، راجع قلبك، في بعض الروايات بهذا المضمون أن القلب يكون أحيانا كأنه شبه خرقة خالية لا شيء فيه، فالإمام (ع) يقول لشخص بهذا المضمون ألا تجده في قلبك؟ من سعادة المرء أن يكون دائم المحاسبة لنفسه، فيجد أن قلبه أحيانا لا شيء فيه، بعد ذلك يميل أو يهتز^(٢١) فهذه ذبذبة. إذن قطعاً أنت تخرج، لكن رجوعك إلى ماذا يكون؟ إلى دينك، في حياة الإنسان دائما يكون عود، إذا تصلي وبعد الصلاة تعود إلى حياتك الطبيعية وتتخلى عن الصلاة، فذاك دينك والصلاة استثنائية، فأنت عدت، ثبت. أما إذا تخرج من الصلاة وقلبك متعلق بها، فذلك العمل وإن طال خارج

(٢١) الكافي (١٦٧/٨): « زاملت أبا عبد الله ع قال فقال لي اقرأ قال فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها فرق و بكى ثم قال يا أبا أسامة ارعوا قلوبكم بذكر الله عز و جل و احذروا النكت فإنه يأتي على القلب تارات أو ساعات الشك من صباح ليس فيه إيمان و لا كفر شبه الخرقه البالية أو العظم النخر يا أبا أسامة أ ليس ربما تفقدت قلبك فلا تذكر به خيرا و لا شرا و لا تدري أين هو قال قلت له بل إنه ليصيبني و أراه يصيب الناس قال أجل ليس يعرى منه أحد قال فإذا كان ذلك فاذكروا الله عز و جل و احذروا النكت فإنه إذا أراد بعبد خيرا نكت إيمانا و إذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك قال قلت ما غير ذلك جعلت فداك [ما هو] قال إذا أراد كفرنا نكت كفرنا. »

الصلاة يكون استثنائياً، فأنت عائد إلى الصلاة، في تلك الرواية بهذا المضمون مجموعة من الناس يستظلون بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، منهم رجل متعلق قلبه بالمسجد^(٢٢)، هذا معناه أنه يعود، يغفل ويعود، تلك غفلة حتى إذا طالت فهي غفلة، دينه المسجد، دينه الصلاة

الصيام كنموذج للعود

كذلك الصيام، دعي أضرب المثل بنفسي أنا حينما أصوم، حينما أنوي القربة إلى الله بالصيام غدا مثلاً، فهذا الصيام الذي هو وضع نفسي أمام الله^(٢٣)، أقدم نفسي وأنت كذلك، ربّ هذه نفسي أضعها تحت اختيارك هذا اليوم، أبعد شهواتي وهواي وأحاول أن أربي نفسي على العبودية لك لأن تكون أنت ربّاً، هل فعلت؟ هل هذا الصيام يجسد ديني؟ والخروج على الصيام هل يكون استثناء ثم

(٢٢) وسائل الشيعة (١٩٩/٥): «عن النبي (ص) قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ...»

(٢٣) تذكرت شيئاً ليس له ارتباط بمسألتنا كثيراً، ينقل عن زينب بنت علي (ع) أنها في اليوم الحادي عشر أو في ليلته، وضعت يديها تحت جسد الحسين (ع) وحاولت أن ترفعها ثم قالت: «اللهم تقبل منا هذا القربان»، فنحن يجب أن نعود إلى الحسين (ع)، هذا ديننا بشرط أن نعرف الحسين (ع)، «من زار الحسين عارفاً بحقه وجبت له الجنة»، الزيارة ليست عبارة عن شيء خارجي فقط إنما هذا دين، زاره يعني أنه بين حين وحين يعود إليه، فالخروج على الحسين يكون استثناء

أعود إلى الصيام؟ هل قلبي متعلق بالصيام أم متعلق بالليل وموائده وديوانياته ومرحه، أصوم وقلبي متعلق بما بعد شهر رمضان، ذاك ديني. فأنا دائما في عيد، أعود إلى شيء، هذا الشيء هو ديني أتبناه وأرغب إليه، لا أُنِي أَشْتَهِي، الشهوة تختلف، فالشهوة إذا كانت مع التأذي لا تتحول إلى دين أبداً، طوبى لمن كُتِبَ تحت كل ذنب يذنبه توبة^(٢٤) (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(٢٥)، الشهوة لا تعني العود، العود هو الذي يتبناه الإنسان ويريده لا أنه يكرهه، هذه حقيقة. الإسلام عادة لا يقول تُب فكلمة (تُب) فيها زجر ونهي، وإذا يقول يقصد (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)^(٢٦)، التوابين إلى ماذا؟ يعني إذا تخرج يكون رأس سهم حركتك متجها إلى عبوديتك لربك، عبد لله أخطأت، بشرط أن تعرف أولا ثم تحاول

صيام شهر رمضان لا ينتج المعرفة، أتفكر بمجرد أن الإنسان ينوي القرية إلى الله في الصيام هذا ينتج المعرفة بالدين؟ جَرَّب، المعرفة لا تحصل إلا أن الإنسان يسعى إليها من أبوابها^(٢٧)، أولا يريد لها،

(٢٤) وسائل الشيعة (٦٩/١٦): «عن رسول الله (ص) طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيامة تحت كل ذنب أستغفر الله»

(٢٥) (الزمر: ٥٣)

(٢٦) (البقرة: ٢٢٢)

(٢٧) بين السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (رسائل ومقالات في المعرفة الدينية والاعتقاد)

هو لا يريد أن يكون مكبا على وجهه يعيش كالحیوان، بل يريد أن يُعمل عقله، يؤمن بأن له ربًّا وأن هذا الكون لم يُخلق عبثًا، وأن هذه المليارات من الخلايا الدقيقة التي نظمها ربه في بدنه لا يمكن أن تكون عبثًا ولغوا ليعيش ويتمتع، حين آمن بالله يبحث عن ربه وعن دين ربه، يسعى وهنالك يجد

صحيح أن الدنيا الآن مظلمة، أينما تضع يدك تجد فيها آثار الكفر، وأينما تبصر ترى آثار الكفر، الكفر يزيّف الأشياء، فالشيطان لا يأتيك دائما من أمامك، بل على الأكثر من خلفك، يناديك باسم الدين، عند قيام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف الشيطان يصيح فيقول أيها الناس إن الحق مع فلان، لا يقول إن هذا الباطل يتفق مع شهواتك فتعال، دائما هكذا، هو يأتيك باسم الدين ويطرح عليك أشياء ويجعلك تُكب على وجهك فلا تفكر أبدا، لكن أبشرك - وهذا عن تجربة - أن الإنسان في هذا العصر على الرغم من أن الشيطان جند كل جنوده وامتلاّت الأرض بالظلم المعمق في كل زاوية من زواياها، على الرغم من كل هذا من أراد (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)^(٢٨)، هذا متجسد في هذا الوقت بشكل واضح، فكثيرون من الناس أرادوا ورغبوا في أن يهتدوا ويصروا، وسعوا فأبصروا، في تلك الرواية أن في آخر الزمان يأتي أناس قوة كل واحدٍ

(٢٨) (العنكبوت: ٦٩)

منهم أو فضل كل واحدٍ منهم يساوي فضل أربعين شخصا^(٢٩)،
بتلك الرؤية العظيمة ينظرون وقيسون الأشياء، هذا مجرب، لكن
بحاجة إلى جهاد وإلى تحرر عظيم، هذه هي المعرفة

شهر رمضان إذا كان معه معرفة وسعي في الاتجاه الصحيح هو
يساهم في شيء آخر وهو أن يربي الإنسان على العود ويدربه، يخرج
بالليل عن مسار عبودية الله، هو ليس خروجاً عن المسار بل هي
غفلة، باسم الله يأكل لكنه يشتهي فيخرج ثم مرة ثانية يعود، فيربي
نفسه على العود، هذا العود المتقصد المتعمد - بعد أن عرف -
بالتدرج بيلور ويرسخ في ذهنه العود إلى الدين الذي عرفه، من لا
يعرف لا يعود

قرأت في كتاب لغة أن العيد هو العود إلى الفرح والسرور،
فالإنسان يعتبر هذا ديناً، ومن الآن يفكر بأنه كيف يعود، فيهيئ
ملابس السرور، تجدد في تلك الرواية - وهي رواية غير صحيحة - أن
الصديقة الشهيدة فاطمة (ع) تأذت حينما رأت في شهر رمضان
أو في أوائل ذي الحجة أن أطفال الناس يلبسون ملابسهم الجميلة

(٢٩) الكافي (٢/٢٩٤): «عن عبد الملك بن أعين قال: قمت من عند أبي جعفر (ع)
فاعتمدت على يدي فبكيت، فقال: ما لك؟ فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر، وفي
قوة، فقال: أما ترضون أن عدوكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم، إنه لو كان ذلك
أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً وجعلت قلوبكم كزبر الحديد لو قذف بها الجبال لقلعتها
وكنتم قوام الأرض وخزائنها»

الجديدة، فطلبت من رسول الله (ص) ثيابا للحسنين (ع) ونزل جبرائيل بثوبين عظيمين من الجنة لهما! كأن الغاية والهدف هو هذا! بدل أن يرمج الإنسان لشهر رمضان ليربي نفسه فيه على العود إلى الله تبارك وتعالى، ليصبح مسلما قيّما وشهيدا على نفسه وشاهدا على الآخرين، بدل ذلك يفكر أي أكالات وأي وضع يتناسب مع شهر رمضان حسب الذهنية الكافرة التي تريد أن تدمر حتى الصيام. حينما يصوم في نهار شهر رمضان قلبه متعلق بالأكلات الليلية، وفيه يتهيأ للعيد، للفرح والسرور، هذا دين، وعلى هذا الأساس لا يحصل العود

العود لمن يحصل؟

العود يحصل للشخص الذي يعرف الدين ويجاهد نفسه على أساس من هذا الدين، ربّى نفسه على العود وعلى العود وعلى العود، فأصبح العود صبغة تنصبغ بها نفسه. وفي نهاية شهر رمضان يبدأ هذا العود ببسم الله، يزكي أولا، الزكاة تعني له شيئا (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)^(٣٠). فيأذن يأكل يلتهى لكنه يعود ويذكر اسم الله تبارك وتعالى، فكل شيء بالنسبة له يدعوه إلى العود هؤلاء الذين يباهي بهم رسول الله (ص)، وهم أناس قليلون، هؤلاء الذين يغيرون العالم وينتصر بهم الله تبارك وتعالى لدينه (كم

(٣٠) (الأعلى: ١٤-١٥)

مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ^(٣١)، لأن كل واحد من هؤلاء مَلَكٌ نفسه وغلب الكفر بكل جنوده في قرارة نفسه، وانتزع كل جنوده وإيحاءاته من نفسه وطرحها خارج ذاته، عرف نفسه وعرف ربه، هنالك استطاع أن يستجيب لله تبارك وتعالى فوجد الله قريباً (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(٣٢)، فرشدوا. نحاول أن نكون من هؤلاء، نعود ويصبح هذا العيد عيداً نحن صنعناه، هؤلاء يصنعون العيد وبتبع عودهم ينتج العيد، هؤلاء يشفعوننا إلى الله وبتبعهم نحن نعود، فإذا يوجد هنالك شيء من الحقيقة وشيء من الصلاح فبسبب هؤلاء وبشفاعتهم، وينور هؤلاء تشرق الأرض بمقدار إلى أن تشرق بشكل كامل. نحاول أن نكون من هؤلاء، نسعى في هذا الاتجاه، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)^(٣٣)، إذا كان بهذا الشكل فالعيد يكون عوداً إلى الله لأننا تربينا على العود، وإلا عوداً إلى الدنيا وزخارفها وإمامة الكفر المسيطرة على العالم كله

خروج الإمام الرضا (ع) لصلاة العيد

أشير فقط إلى تلك الرواية التي يذكرها الكافي عن الإمام الرضا (ع) أنه في يوم العيد ماذا فعل، أقرؤها عليكم سريعاً، هذه هي

(٣١) (البقرة: ٢٤٩)

(٣٢) (البقرة: ١٨٦)

(٣٣) (العنكبوت: ٦٩)

الجمعة الأخيرة من هذا الشهر والله تبارك وتعالى يهيئنا لعيده، في هذه الرواية الصحيحة « لما انقضى أمر المخلوع (الأمين بن هارون) حينما انتهى (يعني قُتل) واستوى الأمر للمأمون كتب إلى الرضا (ع) يستقدمه إلى خراسان فاعتلّ عليه أبو الحسن (ع) بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له، وأنه لا يكفّ عنه، فخرج (ع) ولأبي جعفر (ع) سبع سنين، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ... فعرض عليه المأمون أن يتقلد الأمر والخلافة فأبى أبو الحسن (ع)، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها، قال المأمون له: سل ما شئت. فكتب الرضا (ع): أني داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهي ولا أفتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئاً مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله (هذا لا أريد أن أشرحه، أنتم فكروا فيه) فأجابه المأمون إلى ذلك كله

قال فحدثني ياسر قال: فلما حضر العيد، بعث المأمون إلى الرضا (ع)، يسأله أن يركب ويحضر العيد ويصلي ويخطب، فبعث إليه الرضا (ع): قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الأمر، فبعث إليه المأمون: إنما أريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك، فلم يزل (ع) يرادّه الكلام في ذلك فألحّ عليه المأمون فقال: إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي، وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)،

فقال المؤمنون: اخرج كيف شئت. وأمر المؤمنون القوّاد والناس أن ييكرّوا إلى باب أبي الحسن (ع): قال فحدّثني ياسر الخادم أنه قعد الناس لأبي الحسن (ع) في الطرقات والسطوح، الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القوّاد والجند على باب أبي الحسن (ع) فلما طلعت الشمس، قام عليه السلام فاغتسل وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه وتشمّر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت

ثم أخذ بيده عكازا ثم خرج ونحن بين يديه وهو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمّرة، فلما مشى ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخيّل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه، والقوّاد والناس على الباب قد تهيّؤوا ولبسوا السلاح..»^(٣٤) قضية طويلة

هذا عود، مدة طويلة تقريبا بعد وفاة رسول الله (ص) حوالي مائة وتسعين سنة، وبعد استشهاد أمير المؤمنين (ع) بمائة وستين سنة، يجد الإمام الرضا (ع) فرصة ليعود إلى سيرة رسول الله (ص) كان يعيش هذه الرغبة وأثر وشفع، نحن كذلك نستطيع أن نفعل إن شاء الله بدرجة، والحمد لله رب العالمين

(٣٤) الكافي (١/٤٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد عود إلى الإمامة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، بمناسبة العيد^(٣٥) أريد أن أذكر أمرا يكون مفيدا لبعض منكم، ومفيدا يعني يكون سببا لعلم بعضكم وتذكيرا لأكثركم حسب فهمي

أذكر هذه المقدمة أن بعض المؤمنين قد يجدون في هذا الذي أقوله شيئا مكررا، وذكرت في وقت سابق أن التكرار في الدين ضروري، ذاك الذي يضره التكرار هو في المعلومات، لكن التكرار يجب أن يكون في محاور الدين، فلو كرر وركز على أشياء هامشية فهذا قد يضر، هذا بإجماله ذكرته وأعبره

طرق التعامل مع الدين

توجد هنالك طريقتان في التعامل مع الدين، الطريقة المعروفة للدين هي أن شخصا يقلد مجتهدا، يأخذ رسالته العملية ويركز على المسائل الموجودة في هذه الرسالة ويلتزم بها، فالمحرّمات يتركها والواجبات يعملها وحتى المستحبات قد يعملها أو يعمل قسما منها، وأكثر من ذلك ليس مطلوبا ولا شيء يقيده، هو قد يفكر لكن

(٣٥) ليلة عيد الأضحى ٩ ذي الحجة ١٤١٦ هـ

يفكر بأي مقياس كان، هذه طريقة. الطريقة الأخرى هي أن في الإسلام يوجد شيء أهم من هذا، به يتحول ذاك التقيد الشرعي الضروري إلى شيء نافع، وهذه الطريقة هي الحب والبغض المتجسد في الحياة

ليبان ذلك أقول: شخص عنده أولاد، يشتري لهم ملابس العيد، ويشترى لنفسه ولزوجته، يزور، يسافر في العيد، يعطي هدايا، في كل هذه المظاهر الجديدة هذا الشخص يسأل - على الأكثر الناس لا يسألون ولكن إذا نبهوا يفهمون - يسأل عن مشروعية ما يفعله، فإن قيل له أن هذا لا يجوز فهو يتركه، وإلا فهو يفعله

إذا افترضنا أن هذا الشخص حصل حلوى، فيها جلي مأخوذ من عظم حيوان، وإذا كانت مستوردة من بلاد كافرة قد يكون فيها شبهة، فهو يتركها ويبحث عن الحلوى التي ليس فيها جلي، إذن يوجد تقيد شرعي. أو أكثر من هذا هو يتأكد ويدقق، فمثلا هنالك بسكويات مكوناته مذكورة في ورقة ملصقة بالعلبة ومن الممكن أن يكون فيه شحم خنزير، هل يجب عليه أن يدقق؟ الجواب لا، غير واجب إذا كان غير قاطع أنه فيه، فبإمكانه أن يغمض عينيه ويزيل هذه الورقة ويرميها ثم يأكله، من الناحية الفقهية هذا يجوز، لكن هو يدقق، حتى إذا يقال له أن هذه الدقة غير واجبة من الناحية الشرعية هو يدقق ويبحث، وإذا لا يعرف بعض الكلمات يسأل.

كذلك الحليب إذا كان مستوردا فهو يحتاط لا يشربه، حتى الثوب أو القماش الذي يشتريه يغسله، هذه الأشياء يفعلها بالرغم من أنها غير واجبة، كما يحتاط في قضايا الخمس وكذلك في قضايا أخرى، يتعامل بدقة شديدة

لكن ماذا يحب؟

الإنسان حينما يحيا هل يحيا بالفقه (بالتقييدات الفقهية) أو يحيا بحبه؟ يحيا بحبه. مثلا هذا الطعام يتركه، لكن يحب أنه يا ليت ما كان فيه جلي. هذه السيارة سقفها من الجلد، وهو يقلد مجتهدا يرى نجاسته، وحتى إذا كان يقلد مجتهدا يقول أنك إذا تحمل أنه مذكى فهو طاهر، لكن قلبه لا يرتاح فيحتاط، لكن ماذا يحب؟ يحب أنه يا ليت المسلمين كانوا يصنعون هذا الشيء. حينما يبني بيتا يدقق مع المهندس بأن لا يضع المرحاض في اتجاه القبلة ففيه إشكال، وحتى النوافذ يجعلها بحيث لا تكشف من الخارج، يعني يحتاط بقضايا الحجاب وأمثال ذلك. إذا يقدم له شراب في بيت خادمتة مسيحية وهو لا يدري من جهّزه، فيجوز له أن يشربه، بل توجد مندوحة أنه إذا كان يقلد مجتهدا يرى نجاسة الكتابية احتياطا بإمكانه أن يرجع إلى مجتهد آخر يرى طهارتها، لكن مع ذلك لا يفعل، فيذهب هناك ولا يشرب، أو قد لا يزور هذا البيت أصلا حتى لا ينحرج، كل هذه الأشياء هو يفعلها لكن باستثناء هذا يأخذ راحته، لا يشعر بأي

قيد في نفسه، حتى في العيد يشتري ملابس ويزور ويمارس المظاهر
العيدية ضمن هذا

كل هذه الأشياء هي ممارسات خارجية، لكن القلب شيء آخر،
الحب شيء آخر. هذا الشخص كذلك قد يزور الإمام الرضا (ع)
كل شهرين ويزور الإمام الحسين (ع)، يذهب إلى الحج كثيرا، ويزور
رسول الله (ص) كثيرا، ويتمنى أن يموت في البقيع، أي أنه يحبهم،
لكن هذه الأشياء كلها ممارسات فقط، أما طريقة حياته فهناك
خيطة تربط الأمور بعضها ببعض

أضرب لكم مثلا معروفا، يُذكر أن شخصا أتى أحد العلماء
فقال: عندي سؤال، ورفع صوته ثم قال: هل رفع الصوت هذا
يجوز؟ قال العالم: ما هذا السؤال؟ قال: هو سؤال، قال: نعم يجوز،
ثم خفّض صوته وقال: هل هذا يجوز؟ قال: يجوز، ثم غيّر نبرة صوته
وقال: وهل هذا يجوز، قال: بلى يجوز، ثم رفع يده اليمنى وقال: وهذا
يجوز؟ قال: يجوز، ما هذه الأسئلة! قال: سؤال شرعي، ثم نزل يده
وقال: أرفع رجلي، هذا يجوز؟ قال: يجوز. كل هذه الأشياء سأها ثم
بدأ يرقص ويغني فقال: هذا يجوز؟ قال: لا، هذا لا يجوز، قال: أنا
سألت عن كل واحد منها قلت يجوز، قال العالم: المجموع المركب لا
يجوز، حتى إذا يجوز كلّ على حدة فهذا هو، هناك خيطة تربط شيئا
مع شيء فصار شيئا آخر، صار طريقة. فهل أكثر الناس يفهمون أن

هناك أعمال وسلوك وتصرفات لكن هناك شيء يربط هذه الأشياء
ويوجهها؟

الإمامة هي طريقة الحياة

الإنسان الذي يتعقل يفهم هذا، أنت تستطيع أن تفهم أن
هنالك شخصين: شخص له حب يختلف عن حب شخص آخر،
يعني له طريقة في الحياة تختلف عن طريقة شخص آخر، هذه الطريقة
إذا أنت آمنت بضرورتها يعني آمنت بالإمامة، الإمامة هي عبارة عن
طريقة الحياة لا فقه الحياة

لا أحد يستطيع أن يقول لشخص أنت أخطأت ما دام هو
يمشي وفق المسائل الشرعية، لكن هذا الشخص الذي يعمل هذا
الشيء وكثير التقيد قد لا تشعر بأي تولٍ تجاهه، لا تحبه، هل يحصل
الحب بالإجبار؟

أنا أعرف أنا سأتحدث بالنسبة لهذه المبادئ التي نحن نطرحها
هم يتكلمون بها كثيرا، لكن لا أحد فيهم تلك الحالة الإيمانية التي
يجب أن تجسدها هذه المبادئ، الإنسان في هذه الصورة يخاف بدل
أن يرتاح، هذا الشخص لم يظهر في سلوكه أية أمارة تدل على أنه
مؤمن. الدين الآن ليس له راع قائم فسهولة الإنسان يستطيع أن
يلعب خصوصا بالإمامة. يعني هذه الدعوة الصالحة من الممكن أن
تشوّه وتوجه توجيهها يحطم هذه الدعوة وهذه الإمامة

الآن الإنسان المؤمن من جهة المسائل الشرعية الفقهية هل يشعر بالمعاناة في نظركم؟ هل يوجد شيء يجعله يعاني؟ دائما يوجد منفذ، على أقل التقادير التقية، كذلك الحرج يُسقط التكليف، فإذا المنفذ الفقهية دائما موجودة، لكن المسألة الرئيسية هي أن المؤمن لا بد أن تظهر عليه المعاناة والهَمّ. هذه المعاناة يمكن أن يُظهرها الإنسان تصنعاً، لكن أصل المعاناة هل من الممكن أن يحصل بالتصنع؟ الإنسان المؤمن يعرف أن هذا الهَمّ همّ إيماني أم همّ على بعض الأشياء. أنت كمؤمن إمامك غائب، غيبة الإمام من الضروري أن يشعر بها الإنسان المؤمن، فهل السلوك الفقهي هو الذي يشعره بغيبة إمامه وبافتقاده له أم الإمامة المُعينة، الإمامة المفتقدة؟ الإنسان الذي لا يعرف الإمامة في قرارة نفسه لا يمكن أن يشعر بفقد الإمام، وعلى هذا الأساس يحصل تصنع، حين يقول اللهم عجل فرجه لو كان هنالك جهاز دقيق يستطيع أن يكشف قلبه يتبين أن هذا لقلقة لسان فقط، هو أصلاً لا يشعر بالمعاناة أو بالحاجة إلى فرج الإمام أما لو كان للإنسان نور الإمامة يستطيع أن يشخص بوضوح أن حبه هو حب لأن تكون الأشياء بطريقة معينة، الملابس، ملابس العيد مثلاً تكون بطريقة معينة، المأكّل، البيوت، بل يحب أن يكون العالم بطريقة معينة، الإيمان بالإمامة يشعرك بمسئولية تجاه العالم، يعني أنت تريد أن يكون العالم بطريقة وفق حب أمير المؤمنين (ع)

الذي كان يريد أن يكون العالم بطريقة معينة^(٣٦)، هل هذا بحاجة إلى إثبات في نظركم؟ شخص يقول: ما هو الدليل؟ من أين لك أن أمير المؤمنين (ع) كان يريد أن يكون العالم بطريقة معينة؟ فالناس يعيشون بحرية، فقط عليهم أن يتركوا المحرمات ويعملوا بالواجبات والمستحبات، هذا ماذا تقول له؟ هل تقدر أن تثبت له؟ فماذا تفعل؟ تسكت عنه

يجب أن يكون حبك كحب رسول الله (ص)، كحب أمير المؤمنين (ع)، تقول لا أعرف، هل يمكن أن يكون الإنسان إماميا ولا يعرف إمامه؟ ولا يعرف رسول الله (ص) كيف كان يجب أن يكون العالم؟ هذه القضايا الواضحة أكثر الناس لا يشعرون بالحاجة إلى معرفتها ولا يبحثون ويدعون أنهم إماميون، وحتى إذا عرفوا فحب أمير المؤمنين (ع) لا يقود حبهم ولا يصبح إماما لحبهم^(٣٧)

أنت الآن في حياتك الخارجية هل تأتم بأمر المؤمنين (ع)؟ هل الناس في حياتهم يأتمون بأمر المؤمنين (ع)؟ من الناحية العملية لا يمكن لشخص حتى في عهده عليه السلام أن يعمل تماما كما كان يعمل أمير المؤمنين (ع) حتى هو يصبح إمامه، هذا الذي يُذكر كثيرا «... ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك...»^(٣٨)، وإنما هذا العمل يكون

(٣٦) بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (هكذا آمنت ٤) فصل (ما هي معرفة الأئمة)

(٣٧) بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (هكذا آمنت ٤) فصل (ما يحبه القلب هو الإمامة)

(٣٨) نهج البلاغة (الكتاب: ٤٥)

في اتجاه عمل أمير المؤمنين (ع)، يؤشر إلى عمل أمير المؤمنين (ع)، ما هو الذي يربط هذا بذاك، في قلبك لا في الخارج؟ في الخارج سواء عملته بهذا الشكل أو بذاك الشكل لن يصرخ أني في اتجاه أمير المؤمنين (ع) أو في اتجاه غير أمير المؤمنين (ع)، الشيء الذي يربط العمل بعمل أمير المؤمنين (ع) هو النية، الحب، السعي، هذا هو الذي نفتقده، هذا ضروري

معرفة اتجاه أمير المؤمنين (ع)

لو أن الإنسان لا يعرف اتجاه إمامة أمير المؤمنين (ع)، حب أمير المؤمنين (ع)، ولو بإجماله على أقل التقادير أو يبحث - يعني يكون مستضعفا ولكنه يرغب فيبحث وقد لا يعرف تماما - ، الشخص الذي لا يعرف ماذا كان يريد أمير المؤمنين (ع)، وكيف كان يريد العالم، كيف كان يريد الناس، كيف كان يريد الملابس والمآكل والمساكن، كيف كان يريد الزيارات والصدقات والروابط، لولا يعرف هذا حتى إذا يبكي على الإمام أو يزوره، كل هذه الأشياء يفعلها لكنه لا يكون إماميا. ولو أن أحدا يقول بأن أمير المؤمنين (ع) ما كان يهتم ذلك، هذا معناه أنه يقول أن أمير المؤمنين (ع) ليس إماما إذا عرف هذه الأشياء، عرف اتجاه نظرة أمير المؤمنين (ع) وأحب هذا الاتجاه، فهو وإن عمل في العيد أعمالا معينة لكنه يحب العيد بطريقة معينة، يجب أن يكون العيد عودا إلى إمامة أمير المؤمنين (ع)،

من أحب شيئاً سعى إليه أو لا؟ ممكن أنه يحب ولا يسعى؟ من أحب شيئاً وسعى إليه ألا يظهر هذا الشيء على حياته كمظاهر للجهاد على أقل التقادير؟ كصرخة، كحركة، كموقف، كولاء، كعداء؟ أمير المؤمنين (ع) كان يقاتل لهذا، وعمار قُتل في هذا الطريق، هو على أقل التقادير يقول لشخص إنك على خطأ أنت لا تعرف ولاية أمير المؤمنين (ع)، قد يضعف لكن يجب يا ليت أنه يقدر، يعني يظهر عليه أن ما يفعله الآخرون ليس من طريقة أمير المؤمنين (ع)

هنا أنت تُعيّد بطريقة معينة لكن تكره هذه الطريقة، هل تكرهها لأنه نفترض هذا الطعام المعين الذي يوزّع في العيد يسبب لك مشكلة نفسية؟ لا، تكرهها بوعي انطلاقاً من إمامتك التي في قرارة نفسك، إذا لم يكن هذا موجوداً فيك يجب أن يتّواجد. العيد الآن رغم أنه يبدأ في الممارسات الخارجية بالصلاة والسجود لله تبارك وتعالى بطريقة معينة، لكن في الواقع الخارجي إمامة العيد وحتى إمامة هذه الطقوس الدينية هي ليست إمامة صالحة

إذن العيد يتحول لك إلى آية، الآية من الممكن أن تعطيك الفرقان بين الحق والباطل، الفرق بين النجدين، نجد الهدى ونجد الضلال لا قضايا ذهنية، يعني يوجد فيك تأذياً، هذا التأذي يصل إلى مرحلة المعاناة الشديدة فهنا تنتظر الفرج، ربنا أخرجنا من هذا العالم الظالم أهله

أكتفي بهذا المقدار والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد المؤمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين^(٣٩). اللهم صل على نبيك وصل على أمير المؤمنين وصل على فاطمة سيدة نساء العالمين وصل على سبطي الرحمة الحسن والحسين وعلى علي بن الحسين وعلى محمد بن علي وعلى جعفر بن محمد وعلى موسى بن جعفر وعلى علي بن موسى وعلى محمد بن علي وعلى علي بن محمد وعلى الحسن بن علي وعلى القائم المؤمل والعدل المنتظر، اللهم عجل فرجه وأحي أرضك به ولا تؤيسنا من رحمتك واجعلنا من المنتظرين لفرجه، نعرف فرجه وننتظره ونعيشه ونحيي لظهوره، اللهم صل على محمد وآل محمد

للتذكير أقول، أنت حينما بقيت لتستمع الحديث، وقد قلتُ سابقاً أن الاستماع لخطبة العيد في هذا العصر ليس واجباً، هذا كررته ومع ذلك أنت بقيت رغبة منك بالرغم من انشغالك، فهو يوم عيد وزيارات ومعابدة، فأنا أشكرك وأرجو من الله أن يثيبك على هذا في الدنيا والآخرة، ويجعل في حديثي نفعا بإزاء ما تصرف من وقتك، فوقتك عزيز وثمين، « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين

(٣٩) الخطبة الثانية لعيد الفطر ١ شوال ١٤٢٤ هـ

اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت ^(٤٠)، وأرجو أن يجازيك الله باستماعك خيرا

الصوم في عهد النبي (ص)

في عهد النبي (ص) كان الصوم يؤثّر بالصائم في هذه الدنيا، كان يؤثّر التقوى، الآن حينما يقال التقوى فإن الشخص يركز عليه ولا يعرف ما هو، يتصور أن التقوى هو الالتزام بالمسائل الشرعية، أن لا يترك الواجبات ولا يرتكب المحرمات، ويكون أكثر تقى إذا عمل بالمستحبات كالنوافل وقراءة الأدعية والأوراد وأمثال ذلك، فهل التقوى هكذا؟ كيف كانت التقوى في عهد النبي (ص)؟

لماذا أتكلم عن عهد النبي (ص)؟ لأننا نحن من أمة النبي (ص) فيجب أن نتعامل مع النبي ونتبعه، سمعتم وقرأتم كثيرا أن النبي (ص) في أعظم موقف من مواقفه في أواخر حياته في حجة الوداع، في ذلك الوضع الملفت بعد الحج، قام بعمل، هذا العمل يجب أن نعرفه، وهو أن الدين مرتبط بالولاية، يعني أنت حينما تفكر في الدين، هذا التفكير يجب أن يكون مع الولي، مع الإمام ^(٤١)، وإلا يكون باطلا لا يوصلك إلى شيء، وكذلك حينما تعمل يجب أن يكون عملك مرتبطا بالإمام وإلا يكون باطلا

(٤٠) الخصال (٢٥٣)

(٤١) بين السيد حفظه الله هذه المسألة في مقال بعنوان (التفكير بطاعة وولاية) المنشور على

الموقع الإلكتروني (مذكرات) (<https://hakthaamant.com>)

إذن نحن حينما نصوم لا نصوم بمعزل عن النبي (ص)، لاحظ
نحن حينما نصلي صلاة لله في صميم هذه الصلاة نصلي على
النبي (ص)، يعني أنا لا أستطيع أن أتقرب إلى الله ولا أستطيع أن
أقول الله أكبر إلا أن أصلي على النبي (ص)، لا أستطيع أن أقول
إياك نعبد حقيقةً إلا أن أضع نفسي مع النبي (ص)، عرفتُ النبي
(ص)، عشته فأصبحت من أمته، فالآن حينما أصلي صلاتي هي
كصلاة أصحاب النبي (ص)، هذا يجب أن نفعله. الوضع الموجود
الآن هو أن النبي (ص) تاريخياً موجود ونحن من بعيد نذكره ونصلي
عليه ونتعاطف معه وكذلك مع أمير المؤمنين (ع) الذي هو مجسد
للإمامة الصالحة ولإمامة الهدى

يجب أن تستحضر رسول الله (ص)، هذا شغلك أنت، بل شغل
كل واحد منا أن يستحضر ويعيش ذلك الجو ويصبح من الأمة
التي يقول عنها القرآن الكريم (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٤٢)، (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) (٤٣)، أنت يجب أن تصبح من هذه
الأمة التي يذكرها القرآن الكريم، هذا شغلك أنت، لا يحددك ما
يقال ولا يلهينك الذين يعيشون معك ويتصورون بأنهم على صواب،
كن معنيًا بنفسك. في عهد النبي (ص) كان الصوم يرتفع بهؤلاء،

(٤٢) (البقرة: ١٤٣)

(٤٣) (آل عمران: ١١٠)

يُنتج فيهم التقوى، التقوى ماذا يعني؟ التقوى يعني أن الشخص الذي يتقي كان فكره وآماله وميوله ورغباته تسمو فتصبح في طريق الله عز وجل. هذه الرواية « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »^(٤٤)، كم سمعتها وأهملتها لأنك وجدت أن كل الناس يهملونها وأنت كذلك تأثرا بهم أهملتها، هكذا تعودت وتصورت بأن الدين هو هذا الذي يعمل به الناس، لا، الناس ارتدوا بعد رسول الله (ص) إلا مجموعة قليلة، أنت يجب أن تركز على هذا وأن لا تهمله

المتقون ماذا كانوا يفعلون؟

كانت التقوى متجسدة، إنسان حاف جائع أُمِّي غير مثقف لا يعرف القراءة والكتابة لكن فكره فكرٌ متقي، بدأ يفكر في العالم كله، كيف هو يقوم بجعل العالم خاضعا لله وحده، كيف يكبر الله في العالم، لا بلسانه فقط، هذه النزعة مخلوقة في الإنسان، فهو مفطور على هذا

الصيام إذا يرتفع بالشخص عن اتباع الشهوات، بعد مضي شهر كامل درّب نفسه، كلما ذكر الله جمّد الشهوات، معناه هو الآن يستطيع أن لا يخضع للشهوات، وإذا كان يعرف النبي (ص) يعرف بأن هذا هو المرغوب والمطلوب. العالم الآن يحارب ليجعلك وليجعلني خاضعا للشهوات فقط، هذا هو هدف العالم، الزينة والديكور يؤثران

(٤٤) الكافي (١٦٣/٢)

فيّ، سيارة معينة بشكل معين تفقدني شخصيتي، شخصية الإنسان الذي المفروض أن يفكر في تغيير العالم وجعله لله وحده أصبحت متأثرة بأشياء دنيوية، هذا هو الواقع الذي نعيشه، العالم هكذا يفعل الله تبارك وتعالى عن طريق أنبيائه يريد أن يرتفع بالإنسان، والإنسان مخلوق كذلك، إذا راجعت نفسك تجد أنك في قرارة نفسك تحب أن تكون بحيث لا شيء يؤثر فيك، حتى إذا كنت فقيرا فإن الفقر لا يؤثر فيك، هؤلاء المترفون أصحاب الجاه وأصحاب المال لا يؤثرون فيك، إذا استطعت أن تراجع نفسك وتحتلي بها تجد أنك تحب هذا، هذا معناه أن فطرتك تحب أن لا تذلل لأي أحد ولأي شيء غير الله عز وجل فقط، ولذلك حتى إذا كنت غارقا في الترف والأهواء وسمعت أن هنالك إنسان سما ورفض الانصياع لمغريات الدنيا فهذا الشخص يكبر في نظرك، هذا الكبر من أين أتى؟ يعني أنت بفطرتك مخلوق بحيث تحنّ إلى هذه الحالة

الصيام مع غيره يفعل هذا في ظل الولاية (الإمامة)، فأنا إذا كنت باحثا عن إمام مندفعاً إليه لأكون معه ووجدت الإمام - الإمامة المتمثلة في أمير المؤمنين (ع) وفي رسول الله (ص) قبله - هنالك سوف أجد أن الصيام يسمو بي ويركز على هذه الفطرة فينميها ويهديها بحيث أني بعد شهر من الصيام أصبحت بحيث لا أتأثر بأي مؤثر غير الله عز وجل، وإذا تأثرت وسقطت تحصل لي حالة

التوبة (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)^(٤٥)، المفروض أن الصيام هكذا يفعل

المؤمن في العيد

وفي نهاية هذا الشهر، في يوم العيد شكرا لهذا السمو، شكرا لهذا الارتفاع، شكرا لتكبير الله وحده، شكرا لبلورة هذه الحالة في النفس، إذا كان الشخص راغبا فيها يبدأ عيده بشكر الله، بتكبيره، بالقنوت له، بالركوع له، بالسجود له، وبالزكاة قبل ذلك. الزكاة لها معنى بالنسبة لهذا النمط من الناس الذين عرفوا النبي (ص) فسموا وارتفعوا وصعدوا، إن هذا ميسور وفطرتك تدعوك إليه، اختل بنفسك سوف تجد أن في قرارة نفسك أنت كذلك، هنالك حينما تزكي تعرف بأنك الآن أصبحت أهلا أن تمارس وتحسد الشعور الراسخ الذي تبلور في نفسك وهو أنك مسئول عن سبيل الله، زكاتك تُصرف في سبيل الله، تجاهد بركاتك في سبيل الله، أنت مسئول عن الفقراء والمساكين حتى تزيل عن طريقهم العقبات ليسموا معك وليستطيعوا تكبير الله وحده إذا كنت بهذا الشكل، وأرجو أن تكون، إذا كنت مع النبي (ص) هكذا تكون، وإذا كنت من شيعة أمير المؤمنين (ع) هكذا تكون، فأمر المؤمنين (ع) قد فدى بنفسه الشريفة هذا الطريق حتى الإنسان

(٤٥) (الأعراف: ٢٠١)

يرتفع ويصبح هو سيد العالم، إذا كنت بهذا الشكل هنالك تكون متبهاً أنك لا تتصرف تصرفاً يتضارب مع صيامك ومع زكاتك، لا تتصرف تصرفاً يتضارب مع تكبيرك الذي بدأت به يوم عيدك، أنت كبرت الله فإذاً لا تفعل شيئاً أو تتكلم بكلام يخلق لا مبالاة في النفوس تجاه تكبير الله عز وجل، لا تتصرف بلا مبالاة تجاه جهاد رسول الله (ص) وجهاد أمير المؤمنين (ع) وجهاد الحسين (ع) وجهاد أئمتك (ع) الذين عانوا أكثر من قرنين ونصف من الزمان، شُردوا وسُجنوا وقُتلوا

أنت الآن حساس تجاه هذه الأشياء، لأن هذا يهدم كل صيامك، يهدم تكبيرك لله، يهدم زكاتك. أنت لم تزكي؟ حقيقة الزكاة أنك بزكاتك تزكي نفسك وتزكي سبيل الله، سبيل الله تفتحه، تؤشر إليه، فبزكاتك تزكي المسكين الذي يعيقه الفقر عن أن يكبر الله معك، عن أن يصبح أخاك وناصرك، أن يصبح ناصر أمير المؤمنين (ع)، أن يصبح ناصر رسول الله (ص) وأن يصبح ناصر الله عز وجل، (إن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ) (٤٦)

أرجو أن هذا الحديث الذي خرج من قلبي، والذي حاولت أن أتقرب به إلى الله عز وجل عبر نبيه وعبر أوليائه وعبر أمير المؤمنين (ع)، أن يجعل فيه نفعاً، ويثير فيك وفي أي إنسان الرغبة،

(٤٦) (سورة محمد: ٤)

وإذا هو يصبح كما يروى عن رسول الله (ص) « هل من تائب
 فيتاب عليه »^(٤٧) فيقوم وإذا هو قد تغير، عنده إمكانيات كان قد
 جمدها وخنقها، وأخضعها لأهوائه الصغيرة الحقيرة فإذا قرر يجد أن
 الله كيف يعينه وكيف ينصره، وأن رحمة الله كيف هي واسعة تسعه،
 وأن لا أحد يعجز عن أن يكون مع رسول الله (ص)، وعن أن ينصر
 أمير المؤمنين (ع) بل وعن أن ينصر الله عز وجل. وفقكم الله لمراضيه،
 ولا تبطلوا أعمالكم ولا تبطلوا صيامكم ولا تبطلوا صلاتكم ولا تبطلوا
 زكاتكم. بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ
 وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)^(٤٨)

^(٤٧) بحار الأنوار (٣٨٠/٩٠) نقلا عن أمالي الصدوق

^(٤٨) سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم العيد يتحقق بنصرة دين الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا، على نبيك
ونبيي ونبي المسلمين ونبي من يريد الهدى بهدي محمد صلى الله عليه
 وآله خيرة الله في أرضه والمصطفين الأخيار قادة الخلق والهداة الميامين.
بارك الله لمن بحث في شهر رمضان عن الطريق إلى الله، وعن طريق
العود إليه، واستبشر في هذا اليوم^(٤٩) أن يكون عيداً له، بارك الله له
في عيده وجعله يوم يقظة وانتباه له ورجوع إلى الله عن طريق من
عينهم هداة وأدلاء إليه

أيها الأعزة، أيها المؤمنون نحن صمنا، الصيام جنة من النار، وفي
شهر رمضان كانت ليلة القدر، وليلة القدر خير من ألف شهر،
واليوم هو العيد، وفيه زكينا، إما دفعنا زكاة الفطرة أو في طريقنا إلى
دفعها، أيها الموالي أنبّهك، أذكرك أننا في صيامنا نختلف عن غير
الموالي

صوم المؤمن يختلف عن غيره

بعد وفاة رسول الله (ص) الناس الذين لم يهتموا بالإمامة ولم
يُقبلوا عليها وأرادوا أن يتدينوا بمعزل عن الإمامة، وعن الطريق الذي

(٤٩) الخطبة الثانية لعيد الفطر في شوال ١٤٢١ هـ

كان أمير المؤمنين والإمام الحسين والإمام القائم (ع) هم أدلاؤه، هؤلاء الذين تخلوا عن هذا الأمر تصوّروا أن صيامهم بعدئذ كصيامهم في عهد رسول الله (ص)، زكّاهم كزكّاهم في عهد رسول الله (ص)، غاية ما يطلبه الفرد أن يقبل الله صيامه كعبادة، يذكر الله ويدعوه ويتقرب إليه بالزكاة في يوم العيد، ويتصور بأن هذا هو المطلوب منه أما في عهد النبي (ص) ما كان الأمر كذلك، فالصيام في ذلك الحين كان صيام مؤمن مجاهد ناصر لدين الله وناصر لنبيه، كان المؤمن الذي يصوم في عهد رسول الله (ص) يُؤثر على نفسه المؤمنين الذين كانوا يشكلون معه أمة، تلك الأمة التي كانت تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. ذلك الإنسان الذي كان يصوم في عهد رسول الله (ص) ويمتنع عن الأكل والشرب والأشياء المألوفة الأخرى في نهار شهر رمضان، كان يملك نفسه وكان يشعر بأنه هو المسئول عن هذه الأرض ليوّجّها إلى ربها، فأى امرؤ إذا يضلّ فهو يجد نفسه مسئولاً عن ضلال هذا الشخص، كان يسعى ويجاهد بماله ونفسه، يقاتل ويموت في هذا الطريق حتى يكون الدين لله

كانوا يقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء^(٥٠)، كانوا حفاة جُوع لكنهم كانوا يملكون أنفسهم، وكان النبي (ص)

(٥٠) (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء: ٧٥)

سيدهم وقائدهم وهاديهم، كانوا مرتبطين به، كانوا يقاتلون لأن يقوم الإنسان بالقسط، لئلا تكون العبادة إلا لله، لأن يكون الدين لله وحده، لئلا يتخذ أحد أحدا رباً من دون الله^(٥١)، لئلا يكون هنالك شرك، لأن هذا القلب المفروض يخضع ويذل لله وحده لا يذل لشيء ولا لأحد غير الله وحده ولغير طريق الله وحده، هذا الذي كانوا يسعون لأن يتحقق في الأرض. في ذلك الحين هؤلاء المؤمنون الذين يصومون كان الله يحبهم، كانوا يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيانٌ مرصوص^(٥٢)، كانوا يشكلون أمة، أمة مترابطة متراسة، كان بعض المؤمنين من بعض كأعضاء الجسد الواحد، كلٌ يحمي غيره، كلٌ يدافع عن غيره، كلٌ ينصر غيره، كلٌ يجد نفسه مع غيره من المؤمنين، كذلك كانوا

إذن هنالك دينان، هنالك طريقان، طريق يصوم فيه الإنسان ويعيش نفسه، وغاية ما يأمله ويسعى إليه هو أن يكون إنساناً طيباً صالحاً لا يرتكب المعاصي، من دون أن يشعر بأي انتماء لأمة، من دون أن يشعر بأنه يفتقد أمة، من دون أن يشعر بأنه يفتقد ولاية، من دون أن يشعر بأنه يفتقد نبوة أو إمامة، فهو بلا إمام، هذا ما

(٥١) (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)

(آل عمران: ٦٤)

(٥٢) (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف: ٤)

حصل بعد وفاة رسول الله (ص). وطريق هؤلاء الذين يفتقدون الإمامة - وهم قلة - هؤلاء الذين شكّوا « اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا وغيبنا ولينا »^(٥٣)، فكرر في هذا

افتقاد الإمامة

توجد هنالك إمامة، عانى الأئمة (ع) طوال قرنين ونصف من تشريد، تقتيل، سجن، تقيّة، شدة شديدة حتى تكون هذه الإمامة واضحة، أنت مؤهل أن تقوم لله عز وجل وتجد هذه الإمامة وتفتقدها، متى تفتقدها؟ إذا شعرت بأنك لست مسئولا فقط عن بطنك وعن شهواتك وعن متع الحياة، وأن عليك فقط أن تصلي وتصوم وتجمع مع أناس في ديوانيتك باعتبارهم أصدقاؤك، إنما أنت مسئول عن أن تندفع لأن تُكوّن أمة لإمامك، لا إمامة بلا أمة، أنت يجب أن تندفع في اتجاه أن تُكوّن كيانا ينبض بالإمامة، يجسد ويشير إلى الإمامة وإلى نصرّة دين الله. هذه الأرض المليئة بالظلم والجور والانحراف والضلال، هذه الأرض يجب أن تتخلى عن هذا الظلم، أنت المسئول عنها، لك إمكانية ذلك إذا قمت وغيّرت هذا الوضع المتخاذل الذي أنت تعيش فيه مستسلما ومستكينا، سنوات تمر عليك من دون أن يتغير فيك شيء « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرا فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما

(٥٣) من دعاء الافتتاح

فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى نقصان...»^(٥٤)،
يصلي كما كان يصلي فلا تؤثر حياته في صلاته، ديوانيته هي،
أصدقائه هم، وضعهم ووضعهم كما هو

من ينصر دين الله؟ من ينصر الإمام القائم المنتظر والمنتظر؟ من
ينصر أمير المؤمنين (ع)؟ أنت المؤهل لذلك، وجدت وولدت في بيئة
ذكر فيها أمير المؤمنين (ع)، هل شعرت بأن عليك أن تندفع وتتحرك
نحو أمير المؤمنين (ع)؟ تحنُّ إلى إمامته، تسعى لنصرته وتحاول أن
تندفع في اتجاه قلبك، تحب وتبغض على هذا الأساس، تندفع في
اتجاه أن توجد أناسا يعرفون الإمامة، لا فقط يذكرون أشخاصا
بأسمائهم كما هو الوضع الموجود الآن، حيث أصبح الدين يُلهي
أكثر من أن يقيم الإنسان لله عز وجل، أنت المطلوب منك أن تقوم
لله (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُنْقَرَعَةٍ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)^(٥٥)
قم لله، تجد أمير المؤمنين (ع) أمامك، تألماته، صيحاته، آلامه تشعر
بها، كن معه

« اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا »، اللهم إنا نفتقده، لو كنا
فقط نعمل بشريعته من دون الإمامة والولاية فإننا لا نفتقده، فالشريعة
يستنبطها الفقهاء ونحن نعمل بها، لم نفتقد النبوة؟! النبوة أدت دورها

(٥٤) وسائل الشيعة (٩٤/١٦)

(٥٥) (سبأ: ٤٦)

وانتهت، نفتقدها لأننا نحن مسئولون، نجد أنفسنا مسئولين عن هذه الأرض ولذلك نشعر بالاستضعاف من هذه الناحية، نشعر أننا مخنوقون مظلومون مضغوطون، لا نستطيع أن نغير هذا الوضع، فحتى الذين ولدوا في بيئة يذكر فيها اسم علي واسم الحسين متخاذلون أدلة كغيرهم من أبناء الدنيا، مجرد التزامات فقهية. « اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا وغيبة ولينا »، نريد أن نقوم بدورنا، نريد أن هذا العالم يتغير، هؤلاء المتخاذلون الذين يتصورون أن دين الإمام الصادق (ع) هو عبارة عن التزامات فقهية فقط، هؤلاء يتغيرون ولا يبقون بهذا الشكل. من هؤلاء يتخذ الله شهداء كما كان في عهد النبي الله (ص)، كان يتخذ من أناس حفاة عراة جُوع شهداء عمالقة يفكرون في العالم الواسع كله

« اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا وغيبة ولينا » نريد أن ننصره، نحن متهيئون مستعدون، فنحن في صيامنا لا نأكل، لا نشرب، نمتنع، نملك أنفسنا، موجهين أنفسنا لربنا فهذا هو يوم العيد، نريد أن نكبر الله حقيقة لا بألستتنا، الله أكبر، الله أكبر، أعرف بأن الله لا يُكَبَّر في الأرض، أعرف بأن الناس لا يكبرون الله، الله أكبر بلساني، الله أكبر بيدي، الله أكبر بعملِي، أُنكَبِّر الله، أريد ذلك فأستضعف وأُظلم، هذا هو الظلم الذي أعاني منه، وإلاّ نفترض أن شخصا يظلمني في هذه الدنيا، يأخذ مأكلي أو متع الحياة فيها فيظلمني، ماذا يضر؟ الصبر

على ذلك أحجى، لكن أشد الظلم هو أنك أنت أيها الإنسان أيًّا
كان وضعك مؤهل أن تنصر دين الله، وبإمكانك أن تكون كذلك،
فَتُظْلَم وتُمنع فتشعر بصراع، تريد أن هذا العالم ينكسر، هذا السجن
ينكسر لتقوم أنت لربك، لتقوم لنبيك، لتقوم لإمامك

بارك الله لك في عيدك، وجعل الله هذا اليوم يوم عَوْدِكَ إليه
عن طريق أئمتك، عن طريق سنة نبيك، بارك الله لك وجعل هذا
اليوم يوم توبتك وتوبتي وعَوْدِكَ وعَوْدِي إلى ربنا، أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي
ولك، والحمد لله رب العالمين، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)^(٥٦)،
أعتذر عن التطويل، وأرجو أن يكون في ذلك نفع لك إن شاء الله،
لا تنس أنك أنت بمحضر الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

العيد إقرار بالعودة لله

الحمد لله نحمده ونستهديه ونستعين به ونتوكل عليه ونوكل أمورنا إليه، نتقوى ونستعين به ونرجع إليه، وإليه المصير. (٥٧) العيد ليس عبارة عن شيء جديد بعد صيام شهر كامل، في الإسلام لا يوجد ازدواجية ولا يوجد دعوة إليها، ففي الأيام الماضية كنا صائمين وحاولنا أن نضع أنفسنا لله تبارك وتعالى، وكنا ننوي مثلاً فنقول إلهي إني عبدك أصوم لك وأنا باختيارك، أما اليوم فقد أوجب الله تبارك وتعالى علينا الإفطار وما أجاز لنا الصيام لأنه يوم عيد، في ذلك اليوم كنا نصوم واليوم نفطر، هذا ليس معناه أن كل يوم نعيشه بطريقة معينة، ليس هذا هو المطلوب

الصيام يربي المؤمن

المطلوب هو أننا تربينا في هذا الشهر العظيم، ربّانا على أن نكون عبيدا لله تبارك وتعالى، المفروض أنا الذي صمت تسعة وعشرين يوماً قد تربيت وتأهلّت لأن أكون عبداً لله تبارك وتعالى، بعد ذلك أجاز الله لي التصرف في نعمه الكثيرة، وهذه النعم أتصرف فيها كعبد، تعلمون بأن رسول الله (ص) كان في تصرفاته يتصرف كعبد،

(٥٧) الخطبة الثانية لعيد الفطر في شوال ١٤١٣ هـ

لا أنه كان فقط لا يرتكب المحرمات ويعمل الواجبات، بل كان كما في رواية صحيحة يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد، ينقل أنه «مرت امرأة بذية برسول الله (ص) وهو يأكل، وهو جالس على الحضيض فقالت: يا محمد إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله (ص): إني عبد وأي عبد أعبد مني...»^(٥٨)، يعني أي عبد أكثر ذلاً أمام ربه ومولاه مني، كان أي شخص يراه يجده عبداً ذليلاً لله تبارك وتعالى، رسول الله (ص) ما كان ذليلاً لأحد وإنما كان ذليلاً لربه، هذا الذل لله تبارك وتعالى يجب أن يتجسد في حياة الإنسان

فالمطلوب أن الله تبارك وتعالى رأنا أهلاً لأن نكون عبيداً له، نتصرف في الأشياء بإذنه كعبيد، تأهلنا بعد شهر رمضان فأصبحنا مستحقين لأن نتصرف كعبيد له، وعلى هذا الأساس اليوم عدنا إلى وضعنا، إلى عبادة الله تبارك وتعالى. من الممكن أننا كنا نتصور بأنه يكفي أن الإنسان لا يترك الواجبات ولا يرتكب المحرمات، فكل واحد يشتري أي شيء، يأكل أي شيء، يبنى أي شيء، يركب أي شيء، يفعل أي شيء، يصرف كما يشاء، فعنده مال، هذا هو التصور الموجود عند الناس. لا، المال ليس له، الحياة ليست له، حتى نفسه ليست له، إنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة

(٥٨) الكافي (٢٧١/٦)

ولا نشورا، هو عبدٌ لله، الله ما خلقه عبثا وما خلق الكون عبثا، لا أنه كرامة له جعل الكون تحت تصرفه، الله تبارك وتعالى جعله خليفة في الأرض فالمفروض أنه يتصرف كعبد لله تبارك وتعالى، هذا يجب أن نحققه

وعلى هذا الأساس لاحظوا أن العيد يبدأ بماذا؟ يبدأ بالصلاة وبالتكبير لله، نحن نكبر الله، وهذا التكبير ليس تكبيرا لفظيا فقط، فالمفروض أن الإنسان واقعا يكبر الله. كل إنسان إذا راجع نفسه يجد أنه يكبر شيئا أو أشياء أو يكبر أشخاصا، في رواية عن الإمام موسى الكاظم (ع) « ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم... »^(٥٩)، فإذا يحاسب نفسه يجد أن في ذهنه أشياء كبيرة، أشياء مهمة، أشياء عظيمة هو لا يقدر أن يتخلى عنها فهي أكبر منه

تكبير الله عز وجل

المفروض أن الإنسان المؤمن يكبر الله، وإذا كبر الله حقيقة لا تلفظا فالأشياء الأخرى تصغر، هذا شيء طبيعي يستطيع أن يجربه الإنسان، بمجرد أن يرتبط بالله يرى بأن الأشياء الأخرى تصغر فتصغر فتصغر بحيث أن الإنسان يستطيع أن يتخلى عنها بسهولة

إذن نكبر الله، نبدأ يومنا أول أيام العيد بالصلاة وبالتكبير لله، هذا رمز، يعني يا إلهي أنا خشعت لك، سجدت لك، عفرت وجهي

(٥٩) الكافي (٤٥٣/٢)

لك، أقررت بالعبودية لك، لا فقط في حال الصلاة، فهذا رمز، إلهي أنا أقر بأني عبد لك، وأقر بأني حينما أرجع إلى البيت أتصرف كعبد لك، أحاول وأحاول لكنني أنفقت، فالشيطان يأتيني فيطغيني ويقول لي هذه الأشياء كلها لك، هذه المتع كلها لك، لا تفكر، ما دامت هذه الأشياء غير محرمة إذن لا بأس عليك، لا، أنا لا أصغي للشيطان، إلهي أحاول، أنت قوّي إذا نسيت، إلهي ذكرني، وإذا تذكرت اطرده الشيطان عن نفسي، أحاول أن أكون عبدا لك في كل شيء، في أكلي، في تعاملتي مع الآخرين، في حياتي ككل، أفكر من أنا، ما هو موقعي، هذه الأشياء لا بد أن نفعلها إن شاء الله

كذلك في عيد الأضحى، لاحظوا الحاج حينما يمر بمراحل فيتأهل أن يكون خليفة لله تبارك وتعالى يقوم بالتضحية فيذبح الشاة، ذبح الشاة يرمز إلى أنه هو الآن تأهل لأن يتصرف في الكون، أن يذبح حيوانا ويأكل لحمه ويعطي الآخرين، هذه كرامة إلهية عظيمة أعطيت له بشرط أن يكون عبدا لله تبارك وتعالى. الكفار هم الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من دون أي تفكير، من دون ذكر الله، من دون تفكر في الله ومن دون تفكر في عبادة الله تبارك وتعالى

يجب أن لا ننسى أننا بدأنا عيدنا بماذا؟ بالصلاة لله عز وجل، بالخشوع له، بالسجود له، وبالدعاء « اللهم إني أسألك خير ما سألك عبادك الصالحون »، عباد الله الصالحون ماذا كانوا يسألون

الله؟ كانوا يسألون الله الدنيا! كانوا يسألون الله البيت الجميل! الحياة المرفهة! الحياة المريحة! لا، ماذا كانوا يطلبون من الله؟ ينقل عن عبد الله بن رواحة أنه كان راكبا في غزوة مؤتة على راحلة ومعه زيد بن أرقم، وكان زيد صغيرا في ذلك الحين، فينقل عن زيد أن عبد الله بن رواحة كان يترنم بأشعار يظهر منها أنه كان يتمنى الشهادة، وكان يقول إلهي لا ترجعني من هذه الغزوة، وحينما كان المؤمنون يودعونهم يقولون إن شاء الله ترجعون إلينا سالمين غانمين، كان عبد الله بن رواحة يقول لا، ادعوا الله لنا أن لا نرجع بل نموت في سبيله وندخل الجنة، يقول زيد حينما سمعت هذا بكيت، فقال لي اسكت، أما تريد أن أستشهد في سبيل الله وأدخل الجنة وأنت ترجع وهذه الراحلة كلها لك، ليس معك شخص ينازعك إياها^(٦٠). هكذا كان عباد الله الصالحين، أمير المؤمنين (ع) ينقل أنه كان يقول « يا دنيا... غُرِّي غيري »^(٦١)، وحينما قُتل قال « فزت ورب الكعبة »

اللهم إني أسألك خير ما سألك عبادك الصالحون، اطلبوا من الله أن يقويكم أمام مغريات الدنيا، وأمام وساوس الشيطان الكثيرة الكثيرة. قرأت في مكان أن في كل يوم حينما يفتح الإنسان عينيه تدخل محه ربما فوق خمسين ألف صورة، هذه الصور لاحظوها، ما هي؟ هذه الصور تذكر الإنسان بالله أم تذكره بالشيطان؟ كل

(٦٠) تاريخ الطبري (٣/٣٨)

(٦١) نهج البلاغة (الحكمة ٧٧)

هذه الصور أو أكثرها على أقل التقادير تذكر الإنسان وتدعوه إلى الشيطان، فالإنسان يجب أن يكون مستنفرا ويتذكر بأنه هو عبد لله وأن الشيطان قد جند جنوده حتى يغويه ويطغيه ويمنعه أن يكون عبدا لله تبارك وتعالى

لا أريد أن أطيل عليكم، يجب أن نجسد العيد إن شاء الله في سلوكنا وتصرفاتنا مع أولادنا، حينما أعطي أحدا عيدية يجب أن أعرف بأني كعبد أعطي عيدية، أنا مسئول (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)^(٦٢)، إن شاء الله هذه الأعمال نتذكرها وهذه السيرة نتذكرها ونعمل بها، والله معنا ومعكم وإن شاء الله يعين بعضنا بعضا، وفقكم الله لكل خير والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله

(٦٢) (التوبة: ١٠٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

شفاعة الحاج

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين. (٦٣) اللهم اجعل ما نقوله ونفعله خالصا لوجهك الكريم، اللهم احشرنا مع الذين ترضى عنهم والذين يجاهدون في سبيلك

الموسم هو موسم رجوع الحاج من بيت الله الحرام، سأقرأ بعض الروايات التي تتحدث عن أن الحاج يشفع في المؤمنين، قبل قراءتها أوضح قليلا معنى الشفاعة وأن الحاج كيف يشفع

الشفاعة

الشفاعة معناها الاقتراب أو التقريب، وهي قسمان: شفاعة حسنة وشفاعة سيئة. الشفاعة الحسنة هي أن إنسانا يشفع شخصا أو جماعة إلى الشيء الحسن، إلى الكمال والفضيلة، أي يقربهم إلى هذا الشيء الحسن. والشفاعة السيئة هي أن الإنسان لا سمح الله يقرب إنسانا أو جماعة إلى السيئات، (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) (٦٤)، هذه هي الشفاعة

(٦٣) الجمعة في ١٣ ذي الحجة ١٤٠٢ هـ

(٦٤) (النساء: ٨٥)

في الإسلام المؤمن بإمكانه أن يشفع كثيرا من الناس إلى الله تبارك وتعالى، في بعض الروايات أن المؤمن يشفع في مثل ربيعة ومضر، هذا التعبير يعني أن جماعات كثيرة جدا بالإمكان أن يشفعها إنسان إلى الله تبارك وتعالى. والشفعاء المعروفون في الإسلام هم رسول الله (ص) والأئمة (ع) والزهراء (ع) وهي الشافعة المشفّعة، ومن بين الأئمة (ع) أكثرهم شفاعا هو أبو عبد الله الحسين (ع)، ومن الشفعاء القرآن والعلماء، وكذلك الشهيد كما هو موجود في الروايات، ومنهم الحاج وهذا الذي سأذكره اليوم، ولكن قبل ذلك أبين

كيف يشفع الإنسان الناس إلى الله تبارك وتعالى

إنسان يقوم بحركة إصلاحية تغييرية في المجتمع فأناس يتأثرون بهذه الحركة، هذا الإنسان بواسطة هذه الحركة أو هذا القول أو هذا الكتاب أو هذا العمل يؤثر في الناس فيقتربون من الله تبارك وتعالى. كما تعلمون أن الناس ينقسمون حسب تقسيم أمير المؤمنين (ع) في رواية إلى ثلاثة أقسام: قسم يُعبر عنهم بالعلماء الربانيين، هؤلاء هم الرسول (ص) والأئمة (ع)، والقسم الثاني هم المتعلمون على سبيل نجاة، والقسم الثالث همج رعاع^(٦٥) وهم أكثر الناس، أية حركة وُجدت

(٦٥) من كلام له (ع) لكميل بن زياد النخعي في نهج البلاغة (الحكمة ١٤٧): « يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح... »

تؤثر فيهم، فإن كانت الحركة حركة سالحة تؤثر فيهم الصلاح، وإن كانت الحركة حركة فاسدة تؤثر فيهم الفساد، أكثر الناس هكذا والحركة التغيرية حين تحصل في المجتمع فبمقدار قوة هذه الحركة وضمن الظروف والشرائط الموضوعية لها تؤثر في مجموعة من الناس، إما تحركهم إلى الصلاح أو تحركهم والعياذ بالله إلى الفساد. مثلاً عالم يكتب كتاباً فيؤثر، يشفع تلك المجموعة التي تأثرت بهذا الكتاب إلى الله لأنه قريبهم إليه تبارك وتعالى. الشهيد يتحرك تحركاً، يطرح حركة قوية لا يمكن لإنسان أن لا يبصرها، فالكتاب بالإمكان أن يغفل أما الذي يُسَطَّر بالدم فهذا لا يمكن أن يُهمل، قطعاً جماعة من الناس تتأثر به

فالشهيد إذن بعمله العظيم الذي يعتبر أعظم عمل في الإسلام، وكل فضيلة وخير يصغر تجاه التضحية بالنفس، هذا الشهيد يشفع مجاميع من الناس إلى الله تبارك وتعالى، يشفع تلك المجاميع التي تتأثر بهذه الحركة. الحسين (ع) كسيد الشهداء سطرَّ حركةً بدمه الزكي الطاهر، وبذلك استطاع أن يلفت نظر الملايين من الناس إلى الله تبارك وتعالى، وإلى الغاية المقدسة التي استشهد من أجلها، فإذا هو يعتبر سيد الشفعاء بعد رسول الله (ص)، وهكذا كل شهيد له شفاعة بدرجة وأخرى بمقدار قوة ما يطرحه من حركة تغيرية، وبمقدار ما يلتفت الناس إلى هذه الحركة التغيرية

الآن أنت إذا تصلي، إذا تصوم، إذا تكون صالحا بدرجة وأخرى، هذا الصلاح بأي درجة كان إنما هو نتيجة أعمال قام بها شفعاء كثيرون منهم هؤلاء الذين ضحوا بأعلى شيء يملكونه في حياتهم، الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، قالوا الله أكبر وقُتلوا، هذا الصلاح الذي يوجد فيّ وفيك وفي المسلمين هنا وفي أي مكان آخر هو نتيجة أعمالهم وحركتهم، هذه هي الشفاعة. ما كنت أريد أن أتحدث عن شفاعة الشهيد المجاهد الذي يُقتل في سبيل الله لا في سبيل أي شيء غير الله تبارك وتعالى، لا المال ولا الأرض ولا حتى العرض، لا إله إلا الله هذا الذي نحن نقوله بألستنا ونحن مرتاحون هو يقوله ويبدل نفسه لأجله ويجسده، هذا حديث بحاجة إلى كثير من الاهتمام ولكني لا أتحدث عنه اليوم

شفاعة الحاج

أتحدث عن شفاعة الحجيج وأن الحاج كيف يشفع، أقرأ بعض الروايات ثم أوضح هذا الأمر

في رواية عن علي بن الحسين (ع) قال: «... أما بلغك ما قال رسول الله (ص) في حجة الوداع إنه لما وقف بعرفة وهمّت الشمس أن تغيب قال رسول الله (ص): يا بلال قل للناس فلينصتوا، فلما أنصتوا، قال: إن ربكم تطوّل عليكم في هذا اليوم وغفر لمحسنكم وشفّع

محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفورا لكم»^(٦٦) فالحاج حينما يقف موقف عرفة، وحينما يتم حجه لله يصبح شافعا يشفع في المسلمين وفي رواية عن أبي عبد الله (ع) قال: «الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفّعوا شفّعهم، وإن سكتوا ابتدأهم...»^(٦٧)

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله (ع) قال: «إن الله عز وجل ليغفر للحاج ولأهل بيت الحاج، ولعشيرة الحاج، ولمن يستغفر له الحاج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر»^(٦٨)

وفي تنمة رواية عن رسول الله (ص) «... وكان (أي الحاج) في ضمان الله إن توفاه أدخله الجنة، وإن رجع رجع مغفورا له، مستجابا له، فاغتنموا دعوته، فإن الله لا يرد دعاءه إذا قدم، فإنه يُشَفَّع في مائة ألف رجل يوم القيامة..»^(٦٩)، كيف؟

كيف تكون شفاعة الحاج؟

يتصور الإنسان أنه يكفي أن الحاج يقول أنني أشفع لك أو أدعو

^(٦٦) وسائل الشيعة (٩٥/١١)

^(٦٧) الكافي: ٢٥٥/٤ - كتاب الحج

^(٦٨) وسائل الشيعة (١٠٣/١١)

^(٦٩) وسائل الشيعة (١٠٤/١١)

وأستغفر لك، المسألة ليست هكذا. قلت أن الحاج يحج، يذكر الله بقوة ويتخلى عن كل شيء غير الله، ينصبغ بصبغة الله فتغفر ذنوبه كلها ويصبح إنسانا جديدا قويا. في مجلسنا قطعنا هنالك حجاج رجعوا، هذا الحاج بعد أن كان يتأثر بأي شيء خارج إرادة الله، الآن لا يخضع إلا لربه فقط، أصبح إماما حسب دعوة إبراهيم (ع) (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (٧٠) وأصبح شهيدا وشاهدا، الآن هو يريد أن يتحرك إلى الله فيحرك الناس معه إلى الله، فبمقدار ما يفكر في الآخرين، وبمقدار ما يهتم بهم لله تبارك وتعالى، وبمقدار ما يريد أن يهديهم إلى الله، بنفس المقدار هو يشفعهم إلى الله تبارك وتعالى

تحدثت في وقت سابق أن عود هؤلاء إلى الله في منى، عود شخصيتهم وكرامتهم وعود عزهم وقوتهم إليهم، وابتعاد الميوعة والتخاذل منهم ذلك يوم عيد لهم، عيدهم هذا يكون عيدا لنا كذلك وللمسلمين جميعا في كل مكان لأن عودهم إلى الله يؤثر قطعاً على عودنا إلى الله تبارك وتعالى، هكذا تكون الشفاعة

إذن يجب أن يعرف الحاج قدره بأنه بايع الله بيعة جديدة، تعهد أمام الله حينما نوى عند الحجر الأسود أنه يطوف سبعة أشواط حول بيت الله، أي أنه دائما يدور في فلك إرادة الله وحده، ولا يغفل عن أنه أصبح إنسانا جديدا تماما يؤثر على بيته، فيُطيف بيته حول

(٧٠) (الفرقان: ٧٤)

إرادة الله، وأن المجتمع بحاجة إليه فلا يغيره أشكال الناس وأوضاعهم وكلما تم وفرعتهم، إنه يستطيع أن يؤثر فيهم، قلت أن أكثر الناس بعيدون عن الله، هؤلاء ضعفاء صغار حقراء، هو يستطيع أن يمنع انحذارهم ويستطيع أن يصلحهم بشرط أن يريد ذلك، فالله معه وهو يلتمس العز دائما منه تبارك وتعالى

فالحج هو عبارة عن تقبل مسئولية عظيمة تأهل الحاج لتحملها، أولم يقل حينما تخلص عن كل شيء واكتفى بسائر عورة وسائر بدن بسيط « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك »، ربي أخضع لك وحدك ولا أخضع لغيرك، هذا تعهد، والرجوع من الحج هو بداية عمل بهذه المسئولية التي هو تقبلها وتحملها. كم حاجا حج هذا العام؟ هؤلاء إذا عملوا بما تعهدوا وطبقوا ما تحملوا من المسئولية، فالمجتمع قطعاً سيصبح مجتمعاً صالحاً بتأثير هؤلاء. كل واحد منهم يؤثر على بيته، يؤثر على ذويه، يؤثر على أهله وعشيرته ومحله بل وعلى بلده، كل واحد منهم إذا شفع أشخاصاً إلى الله تبارك وتعالى فالمجتمع يتغير ويتبدل. المجتمع يتأثر بالصلاح كما يتأثر بالفساد، المجتمع الذي تأثر بالفساد قطعاً يتأثر بالصلاح

الاستشفاع بالحاج

الحجيج أهلاً بهم، نرحب بهم، نحن بحاجة إلى حسناتهم، نحن بحاجة إلى أعمالهم الصالحة لتؤثر فينا، لكن هؤلاء يشكلون جانباً

واحدا من القضية، فالشفاعة لا تحصل فقط بجهود هؤلاء بل نحن كذلك يجب أن نستشفعهم ونستفيد منهم. حتى الإمام الحسين (ع) وهو سيد الشهداء، أعظم إنسان بعد جده وأبيه وأخيه استشهد واستشهدت معه نخبة صالحة، أصلح نخبة في ذلك الوقت، هل كان يؤثر عمله لولا أن الناس استفادوا منه النور والضياء والصلاح؟

فنحن يجب أن نستشفع الحجيح كما في الرواية التي قرأناها «... مستجابا له...»، فهو تستجاب دعوته، أعماله وتحركاته تنجح «... فاغتنموا دعوته...». نحن يجب أن نلتمس منه الدعاء لا دعاء لفظيا، يجب أن نستمد منه نورا، في رواية عن أبي عبد الله (ع) قال: «الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يُلَمَّ بذنب»^(٧١)، فهذا النور هو الذي يقود الإنسان في الآخرة إلى الجنة، هذا النور يجب أن نستضيء به، لو لم نستضيء به إذن لا يشفعنا الحاج

لاحظوا، أقرأ بعض الروايات في هذا الباب، عن علي بن الحسين (ع) أنه كان يقول: «بادروا بالسلام على الحاج والمعتمر ومصافحتهم من قبل أن تحالطهم الذنوب»^(٧٢)، هذه المصافحة والسلام لا تعني فقط مصافحة مظهر، بل سلموا عليهم واربطوا أنفسكم بهم وتأثروا بهم وتمنوا يا ليتكم كنتم معهم، هؤلاء اقتربوا

(٧١) الكافي (٢٥٥/٤)

(٧٢) الكافي (٢٥٦/٤)

من الله فأنتم كذلك اقتربوا عن طريقهم، هؤلاء يذكرونكم بالله فأنتم تقتربون عن طريقهم إلى الله تبارك وتعالى

عن أبي عبد الله (ع) قال: « كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: يا معشر من لم يحج استبشروا بالحاج وصافحوهم وعظّموهم فإن ذلك يجب عليكم، (والنتيجة؟) تشاركوهم في الأجر »^(٧٣)، هذا هو معنى الشفاعة

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر (ع) قال: « وقرّوا الحاج والمعتمر، فإن ذلك واجب عليكم »^(٧٤) إذا رأيتم الحاج ذكرّوه وقلّوا له أو أظهروا له أنك أيها الإنسان قد حججت وارتبطت بالله، ويجب أن تعرف قيمة نفسك

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله (ع): « من لقي حاجًا فصافحه كان كمن استلم الحجر »^(٧٥)، يعني نفس الثواب الذي أنت تنوي أن تحصله عن طريق الحج ستحصله

ندعو الله تبارك وتعالى لانتصار الإسلام والمسلمين ولأن يرفع عنا هذه الغيوم، المطلوب منكم أن تدعوا، والدعاء يجب أن يكون بالتوجه القلبي إلى الله تبارك وتعالى وقطعا الله يستجيب. لكن قبل

(٧٣) (الكافي: ٢٦٤/٤)

(٧٤) وسائل الشيعة (٤٤٦/١١)

(٧٥) أمالي الصدوق (٦٨٢)

هذا يجب أن تفكر بأنك حينما تدعو الله تبارك وتعالى إلى شيء هل ذلك الشيء يرضيه؟ ثم تخلص النية، تخلص ما تدعو الله تبارك وتعالى إليه ثم تدعو الله، فالله يستجيب

هنالك حاجة شديدة إلى دعواتكم، لا تكتفوا بالدعاء المظهري بأن شخصا مثلا يدعو أو يقرأ دعاء وأنتم كذلك ترددون معه هذا الدعاء، لا، ليس من الضروري أن تقرأوا دعاء لا تفهمون كلماته على الأكثر، بأي لسان ادع فإن ما تدعو الله إليه واضح، الحاجة واضحة وهي انتصار الإسلام والمسلمين وظهور الحق، هذا هو المقصود

المهم أن تتجه إلى الله بقلبك، في أية فرصة تجد الله قريبا منك أنت تقترب منه، بمجرد أن تفتح قلبك يفيض الله عليه بالرحمة، افتح قلبك واستمد من الله نورا ورحمة، هنالك ادع الله تبارك وتعالى. قبل الدعاء يستجاب لك فترتبط بالله، ثم الله تبارك وتعالى يحقق حاجتك بشرط أن تشعر بالحاجة، هذا الشيء إن شاء الله تفعلونه. والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تلبية الحاج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين^(٧٦)

تلبية الحاج

عيد الأضحى يختلف عن عيد الفطر في أن عيد الأضحى هو في الأساس عيد الحجاج. الحجاج قليل منهم، لا كلهم، من قد لبّوا لله وحده، عرفوا الله فلبّوا له، عرفوا الشرك ومنافذ الشرك، عرفوا الذين يريدون أن يتخذوا أربابا من دون الله، شركاء لله. كثير من الناس يغفلون عن هؤلاء الذين يريدون أن يصدوا عن سبيل الله ويغونها عوجا، الذين لا يريدون أن يكون الدين كله لله والعبادة كلها لله وأن يكون الناس عبيدا لله وحده فقط. كثير من الذين يدعون التدين لا يعرفون هذه الحقيقة، فحينما يقولون « لا شريك لك » لا يفهمون ماذا يعني لا شريك لك، قلة من الناس من يعرف معنى الشرك، ذلك الشرك الذي يتسرب إلى القلوب وإلى الأذهان كتسرب النملة في ليلة ظلماء على مسح أسود^(٧٧)، لا يُسمع حسيستها ولا يُرى

(٧٦) الخطبة الثانية لعبد الأضحى في ذي الحجة ١٤١٧هـ

(٧٧) وسائل الشيعة (٢٥٤/١٦) « عن النبي (ص) أنه قال: إن الشرك أخفى من ديبب النمل

على صفاة سوداء في ليلة ظلماء... »

جسمها. هؤلاء الحجاج القلة لبّوا الله « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك »، كانوا واقعا يعرفون أن الحمد لله فقط، ويعرفون كيف يمكن أن يكون الحمد لله وحده من دون شرك، ألا يُحمد غير الله، ألا يُمدح في هذا الكون غير الله، أبواب الأشياء يعرفونها

وجدوا في الحج إبراهيم (ع) بشكل طبيعي، وجدوا في الحج رسول الله (ص)، وجدوا خطوات رسول الله (ص) في مكة، وجدوا الأنبياء (ع)، فصعدوا وأصبحوا شفعاء واتخذ الله منهم أئمة للمتقين، وبذلك حصل العيد، حصل العود إلى الله بسببهم

عيدنا تبع لعيدهم

نحن حينما نُعيد، نكبر الله إنما نكبر بتبع هؤلاء، فهؤلاء يشفعوننا، يؤثرون علينا ونحن يجب أن نعرفهم ونتأثر بهم ولا يمكن أن نعرفهم ونتأثر بهم إلا أن نعرف الحج حقيقة، نعرف الصلاة حقيقة، نعرف الإمامة حقيقة، فالإمامة هي التي توضح الحج^(٧٨) والصلاة والصيام والزكاة، هي باب هذه الأشياء والدليل عليها. يجب أن ترتبط قلوبنا بالحج الذي جسده هؤلاء، وبذلك يصبح العيد عيداً لنا « اللهم إني أسألك بحق هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً » ونحن مسلمون إن شاء الله، وبذلك يصبح هذا العيد عيداً لنا كما أصبح

(٧٨) بين السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (الحج في مراحل الأربع) عنوان (كلمة لا بد منها)

عيدا لهؤلاء، وكما كان عيدا لرسول الله (ص)، وكما كان عيدا لأُمير المؤمنين (ع)، وكما هو عيدٌ لإمامنا القائم المنتظر المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

حاسب نفسك، في رواية عن الإمام موسى بن جعفر (ع) « ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم... »^(٧٩)، هل تجد هذه الرابطة، هذه العلاقة بينك وبين الحج المتجسد في هؤلاء؟ هل تشعر في قرارة نفسك بأنك يا ليتك كنت مع هؤلاء؟ لا مع الحجاج كلهم، مع هؤلاء الذين أنت تعرفهم، لا تعرفهم بأشخاصهم وإنما أنت تعرف الحج الصالح إجمالاً، تتمنى يا ليتك كنت معهم، يا ليتك كنت إماماً للمتقين، تؤثر، تحاهد في سبيل الله تبارك وتعالى وتعرف معنى الجهاد، تقاتل في سبيل المستضعفين الذين يريدون أن يهتدوا ولكنهم لا يجدون الطريق إلى الهدى، أتحب هذا؟ إن كنت تحب فهذا العيد عيد لك، هنيئاً لك فهو عيد سعيد لك، يوم مبارك لك، وإلا فأنت بحاجة إلى أن تبدأ في هذا اليوم عملية العود إلى دينك وإلى صلاحك وإلى ربك، أنت تستطيع أن تعرف كيف تعالج مشكلتك (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ)^(٨٠) أكتفي بهذا المقدار، وفقكم الله تعالى لكل خير

(٧٩) الكافي (٤٥٣/٢)

(٨٠) القيامة (١٤ - ١٥)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا
الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا
عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)^(٨١)
هذه الحقيقة تدبرها، يجب أن تجدها في نفسك، هذا ليس فقط قول
رسول الله (ص) وإنما هو قرآن قد أنزل إليّ وإليك وإلى كل الناس
والحمد لله رب العالمين

(٨١) سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يعني لبس الجديد في العيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصل اللهم على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر وحقه بملائكتك المقربين وأيده بروح القدس يا رب العالمين. أريد أن أتحدث اليوم قليلا عن العيد^(٨٢)

لبس الجديد في العيد

في يوم العيد يستحب أن يلبس الإنسان المسلم أحسن ثيابه أو ثيابا جديدة إذا تمكن من ذلك، وأن يستعمل الطيب ويتزين، ماذا يعني هذا التجدد والتبدل والتغير؟ إن الإسلام حينما يدعو إلى هذا لا يدعو إلى تبديل المظهر ولا يدعو إلى لبس ثياب جديدة فقط وإنما يريد أن يتبدل المسلمون في هذا اليوم ويظهروا تبدلهم بالمظهر، لا أن يكتفوا بالمظهر فقط. المظهر يدل على أنهم قد تبدلوا وتغيروا وأنهم تنظفوا وأصبحوا أناسا يختلفون عما كانوا بالأمس، بيوتهم اختلفت، أولادهم اختلفوا

إن الإسلام يريد أن يكون هذا المظهر مظهرا يعكس تبديلا حقيقيا في الناس، فالقلب لا بد أن يصبح قلبا جديدا في شهر رمضان وفي

(٨٢) الجمعة ١ شوال ١٣٩٩ هـ

أيام الحج، وفكره كذلك لا بد أن يتبدل، وأوضاعه في الواقع لا بد أن تتبدل، ثم هذه الحقيقة التي تبدلت وتجددت ينبغي أن تظهر بمظهر جديد حتى بالملابس والأوضاع الخارجية، هذا الذي يقصده الإسلام. مع الأسف كثير من المسلمين يكتفون بتبديل المظهر وبتغيير الظاهر فقط ولا يفكرون في تبديل حقيقتهم وإحياء واقعهم

التبدل الحقيقي

إن هذا التبدل موجود في الكون فأنت حينما تنظر مثلاً إلى الأشجار في الشتاء تبدو ميتة، في ظاهرها لا تجد أوراقاً خضراء ولا تجد فيها النمو، فتقول أن هذه الشجرة الآن متجمدة ولكن نقطة الحياة فيها موجودة، وحينما يأتي الربيع ترى أن هنالك وريقات خضراء تظهر على هذه الشجرة، ماذا تعكس هذه الأوراق الخضراء؟ تعكس أن هنالك تبديلاً وتجدداً في المظهر، هذا التجدد المظهري يعكس تجدداً في حقيقة موجودة في هذه الشجرة، وأنها أصبحت الآن تنمو، قبل هذا كانت منكشمة على نفسها والآن هي تريد أن تكبر وتتبدل، وإذا تظهر أغصان عليها وتكبر وتثمر وهكذا

الله تبارك وتعالى يبدل الكون ويغيره، ولكنه جعل الإنسان مختاراً يغير نفسه بنفسه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (٨٣)،

(٨٣) (الرعد: ١١)

نحن لا بد أن نفكر أننا في هذا العيد قد كنا تبدلنا من قبل هذا الشهر الذي انقضى وانصرم، فهل تبدلنا حقيقة؟

هنالك كثير من المؤشرات أن العالم الإسلامي أصبح يتبدل ويتغير، ويلبس ثوبا جديدا. هذا الثوب الجديد يعكس حقيقة جديدة، حياة جديدة في كل مكان، ولو أن هذا الثوب الجديد في كثير من الأحيان هو منصبغ بصبغة الدم الحمراء ولكن يدل على أن العالم المسلم في تغير وفي تجدد، وأصبح حيّا ينمو بعد أن كان منكمشا على نفسه وكاد أن يموت، والله تبارك وتعالى لا يدع العالم المسلم يموت تماما

ولكننا هنا نتحدث عن أنفسنا، هل فكرنا في هذه المسألة؟ هل نحن تغيرنا؟ هل نحن نمونا في شهر رمضان الذي جعله الله تبارك وتعالى لإحيائنا وإغنائنا، وهو ربيع لنا ينمي به الله تبارك وتعالى ربنا الرحمن الرحيم أنفسنا؟ هل أصبحنا أحياء؟ هل نستحق أن نبذل مظاهرنا؟ أم لا، تلك القيود ما زالت باقية كما هي، وتلك الحقيقة كما كانت، الأوضاع لم تتغير والحقيقة لم تتبدل وإنما تبدل في المظهر، أثواب جديدة ووضع جديد وأطوار جديدة فقط. إن الله لا يقبل منا ذلك، يجب أن يكون تبدل المظهر ناتجا عن تبدل في الحقيقة، كل واحد منا يجب أن يفكر هذا التفكير

فالعيد هو من العود، العود إلى الله تبارك وتعالى، يعني أننا كنا قبل شهر رمضان بعيدين بدرجة وأخرى عن الله تبارك وتعالى، فكل

الناس معرضون لوساوس الشيطان ووساوس النفس الأمارة بالسوء،
فعدنا إلى الله، تبنا إليه وأصبحنا عبادا له، تبدلنا وتغيرنا وأصبحنا
أحياء بعد أن كنا منكمشين على أنفسنا أو ميتين. فهو يوم عيد
لأنه يوم عود إلى الله تبارك وتعالى، والعود إلى الله إنما هو بعود القلب
وبعود الحقيقة وتبديل الحقيقة لا بتبدل المظهر فقط، هذا شيء يجب
أن نتفكر فيه

وفقنا الله وإياكم لمراضيه، وجعل الله هذا العيد عيداً مباركاً سعيداً
ويوم مغفرة ورحمة علينا وعلى المسلمين أجمع، وحل الله تعالى في هذا
اليوم مشاكل هذه الأمة، وجعلنا من المؤهلين لأن نجتمع مع ولي
العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف في يوم ظهوره الذي هو العيد
الأكبر، العود إلى الله في كل العالم، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة أمير المؤمنين في يوم الفطر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
الطيبين الطاهرين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٨٤)

في عصر غيبة الإمام صلاة العيد ليست واجبة، فإذا أُقيمت
يخطب الإمام عادة خطبتين بعد الصلاة، والاستماع للخطبتين ليس
واجبا، لكنه جيد خصوصا إذا كان الشخص راغبا في بداية عهد
جديد بعد صيام شهر كامل، فيكون من مصاديق الآية الكريمة
(فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)^(٨٥). أنا أود أن يستمع المؤمنون
إلى ما أقرؤه في الخطبة الأولى من خطبة مروية عن أمير المؤمنين (ع)
حتى نتذكره في هذا العيد، وكذلك أود أن تستمعوا إلى ما سأحدث به
في الخطبة الثانية باختصار، لكن أود أن يكون استماعكم هذا لربكم

خطبة أمير المؤمنين (ع)

خطب أمير المؤمنين (ع) يوم الفطر فقال: « بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور

(٨٤) الخطبة الأولى لعيد الفطر ١ شوال ١٤٢٤ هـ

(٨٥) (الزمر: ١٧ - ١٨)

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، (قبل ذلك أذكركم بأن هذه الخطبة لو صحّت فإنه كان قد خطب بها أمير المؤمنين (ع) لأناس لم يكونوا أمثالنا، كان هؤلاء الناس الذين يستمعون لأمر المؤمنين (ع) بشكل عام يقاتلون معه، يَقتلون ويُقتلون، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله حتى تعلو كلمة الله، فهؤلاء كان ما يقوله أمير المؤمنين (ع) بالنسبة لهم حياتهم، هو كل شيء بالنسبة لهم، كانوا قد وضعوا أنفسهم مع هذا الكلام، كانوا يتعاملون معه بجد، فهل فينا في هذا اليوم بالذات من يقوم في قرارة نفسه ويقرر أن يتعامل مع الحديث الديني بجد ابتداء من اليوم، أرجو ذلك)

لا نشرك بالله شيئا، ولا نتخذ من دونه وليا، والحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الدنيا والآخرة وهو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور، كذلك الله لا إله إلا هو إليه المصير، والحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم، اللهم ارحمنا برحمتك وأعممنا بمغفرتك، إنك أنت العلي الكبير، (من السهل أن يكون الإنسان مرتاحا وكل شيء عنده على ما يرام، ويطلب رحمة الله ومغفرته مكتفيا ببعض الأدعية، أما هؤلاء فكانوا يطلبون غفران الله بدمائهم، يقاتلون فيقتلون ويُقتلون، كذلك كان شيعة أمير المؤمنين (ع))

والحمد لله الذي لا مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته، ولا مؤيس من روحه ولا مستتكف عن عبادته، بكلمته قامت السماوات السبع واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللوايح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار وهو إله لها وقاهر، يذل له المتعززون، ويتضاءل له المتكبرون، ويدين له طوعا وكرها العالمون، نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله ونستعينه ونستغفره ونستهديه (ونستغفره كاستغفار أصحاب النبي (ص)، كاستغفار أصحاب أمير المؤمنين (ع)، كاستغفار أصحاب الحسين (ع)، نحن نوي أن تكون نياتنا كنيااتهم لا أن كل واحد منا يعيش نفسه فقط، لا يُرجى منه خير لغيره، يشترك في مجالس كثيرة أو يذهب إلى مسجد ويصلي جماعة لسنوات لا يرجو صاحبه الذي يقف معه في صف واحد أي خير منه، لا يؤمنه ولا ينصره وقد يخذله، لا أحد يرجو منه شيئا، إن شاء الله نحن نحاول أن نعرف هذا ونحاول أن نغيره)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما تخفي النفوس، وما تجن البحار، وما توارى منه ظلمة ولا تغيب عنه غائبة، وما تسقط من ورقة من شجرة ولا حبة في ظلمة إلا يعلمها، لا إله إلا هو، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ويعلم ما يعمل العاملون وأي مجرى يجرون، وإلى أي منقلب ينقلبون، ونستهدي الله بالهدى،

ونشهد أن محمدا عبده ونبيه ورسوله إلى خلقه وأمينه على وحيه، وأنه قد بلغ رسالات ربه وجاهد في الله الحائدين عنه، العادلين به، وعبد الله حتى أتاها اليقين صلى الله على محمد وآله

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا تبرح منه نعمة ولا تنفد منه رحمة ولا تستغني العباد عنه ولا يجزي أنعمه أعمال العاملين، الذي رغب في التقوى، وزهد في الدنيا، وحذر المعاصي، وتعزز بالبقاء، وذلل خلقه بالموت والفناء، والموت غاية المخلوقين، وسبيل العالمين، ومعقود بنواصي الباقيين، لا يعجزه إباق الهاربين، وعند حلوله يأسر أهل الهوى، يهدم كل لذة، ويزيل كل نعمة، ويقطع كل بهجة، والدنيا دار كتب الله لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، فأكثرهم ينوي بقاءها ويعظم بناءها، وهي حلوة خضرة، قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر ويضني ذو الثروة الضعيف، ويحتويها الخائف الوجل

فارتحلوا منها يرحمكم الله بأحسن ما بحضرتكم، ولا تطلبوا منها أكثر من القليل، ولا تسألوا منها فوق الكفاف، وارضوا منها باليسير، ولا تمدن أعينكم منها إلى ما متع المترفون به، واستهينوا بها ولا توطنوها وأضروا بأنفسكم فيها، وإياكم والنعم والتلهي والفاكهات فإن في ذلك غفلة واغترار

ألا إن الدنيا قد تنكرت وأدبرت واحلوت وأذنت بوداع، ألا وإن الآخرة قد رحلت فأقبلت وأشرفت وأذنت باطلاع ألا وإن

المضمار اليوم والسباق غدا، ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا
أفلا تائب من خطيئته قبل يوم منيته، ألا عامل لنفسه قبل بؤسه
وفقره، جعلنا الله وإياكم ممن يخافه ويرجو ثوابه، ألا إن هذا اليوم يوم
جعل الله لكم عيدا، وجعلكم له أهلا فاذكروا الله يذكركم، وادعوه
يستجب لكم، وأدوا فطرتكم، فإنها سنة نبيكم...»^(٨٦)، وصلى الله
على محمد وآل محمد

^(٨٦) من لا يحضره الفقيه (٥١٤/١)

